081:K18mA

قره علي، محمد .

081
K18mA

Cat. Iluna 153

تقدمة ولاء وتقدير
لمجلة الأديب الغوصية
التوجيهية مع احترام المؤلف
لصاحبة النبيل الأستاذ
البيروتية الأديب الأكرم
المخلص
محمد قرة علي
١٧-٥-٤٧

581
K18mA
c.1

محمد قرة علي

من وحي الفطرة

Cat. 1 June '53

بيروت * نوار ١٩٤٧

طبع من هذا الكتاب الف نسخة
على ورق ممتاز

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

عرفان جميل

•

لا انسى وانا اضع هذا الكتاب بين يدي القارىء ان هناك يداً من العلم والمعرفة للخلص من اصدقائي غمرتني في نشأتي الادبية بضيائها فشجعت نفسي على المضي في دروب القلم واصلحت ما ضعف من بياني وما فاتني من معرفة ، وان نفسي قد تقبلت هـــذه اليد المخلصة بكل ما في نفسي من الاخلاص والتقدير . وان انساناً مثلي ذاق من الحياة ما ذاق وقطع الطريق من حي العتالين وحملة السلال وباعة الصحف الى حي المفكرين وحملة الاقـــلام ومنشئي الكتب لا بدّ من ان يفتش في حياته عن يد تأخذ بيده بسخاء وعن ساعد يستند اليه بقوة .

ويجدر بي ان اسجل هنا بمداد عرفان الجميل يد الاساتذة السادة

الشيخ عبد الله العلايلي

الدكتور نقولا فياض

محمد علي الحوماني . صاحب العروبة

الشيخ الياس خليل زخريا

ولن انسى أيضاً اصحاب الصحف والمجلات الذين فتحوا لي صدور صحفهم ومجلاتهم ولاسيما الاستاذ البير اديب صاحب مجلة «الاديب»

وعرفان الجميل شجرة قديمة وارفة نبتت في تربتنا واينعت في نفوسنا وعلى هضبات جبالنا .

محمد فره علي

مقدّمة

بقلم

الشاعر القروي

•

اخي العزيز الجليل محمداً

عادني البارحة صديقي الأبر الباس عاصي يحمل لي عددين من مجلة الأديب . فاكتشفت في احدهما منجماً في قصة . طالعت النبذة الطريفة المغرية من سيرتك يا عزيزي فخُلقت عندي خلقاً جديداً . كنت متأدباً فصرت اكبر من اديب . وكنت في تصوري شابا عصرياً ... متأنقاً يروي الشعر ليزداد به اناقة وظرفاً حتى قصصتُ اثرك في طريقك بين انفرس وبيروت فاذا بي امام بطل كبير في طفولته غني في عدمه شريف في ضعته استاذ في اميته . ليت كل المدارس كمدرستك يا محمد اذا كانت كل النفوس كنفسك . حبـــذا مسح الاحذية وبيع الصحف ونعم العتالة ونقل اكياس الفحم على الرأس فوالله اذا لم يكن لها من طيب الأثر سوى وقاية النفس من التخنث والميعان والترف المبتلى به شباب لبنان لكفاها فضلاً . هلا انشأت

مدرسة لخريجي الجامعات تلقي عليهم فصول شقائك . تقرأ قرآن جهادك . تلقن دين وطنيتك . فلسفة خدمتك. جغرافية طموحك. فلك انفتك. تنزلهم الى ملعب الجد. ورياضة الاخشيشان ومسابقات الاقدام وتمنحهم أخيراً شهادة التمرس بالمحن والمشقات ليكونوا اهلاً لتولي مناصب الدولة وتقلد احكامها وشغل وظائفها والائتمان على خزائنها وكفالة مشاريعهـــا !! رشح نفسك لرئاسة الجمهورية يا محمد قره علي وانا أول من يمنحك صوتي . ولن اؤثر عليك إلا من يحمل شهادة تحمل من علامات الثقة بالنفس والاعتماد على الساعد والتمرن على مسح الاحذية ونقل الامتعة وبيع الصحف اكثر مما تحمل شهادتك . ان البلاد لمفتقرة الى ابرهيم لنكلن لبناني فاذا لم يتفق فانتظروا معي فتاة لهذا الوطن ..

اخوك

رشيد سليم خوري

سان باولو برازيل ٢٣ / ١١ / ٤٦ /

محمد قره علي

بقلم مجلة « الاديب »

شاب شق طريقه في الحياة بفطرته ، وسيرته تعد بحق امثولة للذين حالت المادة بينهم وبين تحصيل العلم على مقاعد الدراسة فجعلوا الارادة والرغبة والجد والمثابرة ، تخلق شخصياتهم وتكوّنها ، وتفتح امامها ابواب الدنيا المقفلة ، دنيا الحرف والمعرفة . واعد المحرر كتاباً عن سيرة حياته سماه « من وحي الفطرة » نزولا عند طلب رفاق الامس من ماسحي الاحذية والحمالين. وبائعي الصحف . وسكان الاكواخ الخشبية ، هؤلاء الذين خرج من صفوفهم المتألمة ولم يخرج عليهم . فكان خيط الألم بينه وبينهم طريق القلم .

مجلة « الاديب » عدد تموز ١٩٤٦

من انفرس الى بيروت

قصة انسان ذهب نصفه في الالم ولم يزل نصفه الثاني على طريق الجلجلة (١)

●

حياة مرتجلة تحفل بالجد والكدح . وعمر يبتدىء (عام ١٩١٣) عندما غادر والداه ارض الوطن الى بلجكا وهو بعد جنين .

في مدينة « انفرس » حيث استقر بهما المقام اطل وجه على اسارير هذه الدنيا فكان في الاشهر الاولى صياحاً بكّاء تبرم به والده كل التبرم . ويذكر فيما يذكر مما قيل له ان والده عاد ذات مساء من عمله وما ان وطئت قدماه العتبة حتى دق بكاؤه سمعه فدخل ينتزعه من سريره انتزاعاً ويحمله سراعاً الى الطبيب في الدور العلوي من بيته وبدلا من ان يشرح له ما ينتابه راح يشرح له ما ينتابه هو وامه من ارق وقلق .

*

ويصدف ان يكون الطبيب وعرسه عاقرين فيلتفت الى الوالد بعد حديث ملي ويقول انا ابتاع منك هذا الطفل واكفل تربيته ومصيره ؟ فسأله ابوه بكم تبتاعه .

فيجيب : بوزنه ذهبا .

---

(١) نشر في مجلة « الاديب » تموز ١٩٦٦ .

وفي لمحة عين حمل ذاك الطفل الى كفة الميزان في العيادة وجرى الحساب بين الدراهم والدنانير وقرر ان قيمته يومئذ (٤٥٠ ل . ذهبية) .

ويضحك الأب وينسى بكاء طفـــله وصياحه ويقول للطبيب « سنعلفه حتى العام المقبل » وينتزعه من بين يديه كما انتزعه من السرير وجرول ؟ ! .

*

كانت امه تنتظر العودة في لهفة وحيرة فيدخـل ابوه ويروي الحكايه فتظنها حقيقة واقعة وتنفجر بالبكاء ثم تنتفض فجاءة وتقوم تحزم اغراضها وترتب حقائبها .

الى اين يا ام محمد ؟؟

الى حيث توزن الاولاد ، بحبات القلوب ، يا ابا محمد !!

*

... وفي (شباط سنة ١٩١٤) كانت مدخنة الباخرة تمـــج دخانها في جو بيروت وينزل الى رصيف المدينـــة رجل وامرأة وحقائب وطفل واربعماية وخمسون ليرة ذهباً ...

وتشتعل نيران الحرب الصغرى ! بعد بضعة اشهر يساق الوالد في القافلة الأولى الى جبهة القتال في غمرات الخوف وتدور الايام دورتها الثقيلة ويصبح الطفل بلقمة ؟ ...

*

ثم تسقط ظلمة الليل عن الارض كلها ويستسلم من يستسلم وينتصر من ينتصر ويتهامس الناس باسماء العائدين من بين شدقي

الحرب فاذا بأبي محمد في مقدمة العـــائدين واذا بصغيره وشقيقته يستقبلانه باليتم وقد اكل الهواء الأصفر امهما واقرباءهما وبقيت لهم رحمة الله رحمة لاتوزن بالذهب .

ولأول مرة يشعر الطفل ان القبلة التي قبله بها ابوه كانت كالقبلة التي قبلته بها امه ... لقـد رآها في عينيه وعلى شفتيه ... ان امه لم تمت ..

*

ها هم الآن في عام ١٩٢٢ في كوخ من اكواخ بيروت الخشبية. والد يبيع في بسطة الشارع ، وصغير خادم في احد الحوانيت ، وفتاة صغيرة في الكوخ تقوم باعمال امها الكبيرة . وينتقل الطفل من متجر الى متجر ويدور في سراديب المدينة ويتحدث عنه رفاقه الصغار . ويتهمونه بالبخل والتقتير عـلى نفسه فيبتسم ويسير في طريقه وكأن شيئاً غريباً في طي حنـايا الغيب ينتظره ، ويقرر الوالد يوماً ان مهنة ماسح الاحذية خير من مهنة الخدمة في الحوانيت وفي (عام ١٩٢٥) يشاهد النـــاس او احذية الناس اذا شئت — ولبعض الناس عيون في اقدامهم — صبياً يحمـل صندوق بويا متطفلاً ملحاحاً بخلع البكوية والاستذة عـلى المارة خلعا . وتبدأ المأساة ، حقاً انها لمأساة ، كم من حذاء بهت لونه وكم من جراب تلطخت خيوطه وكم من نهرة قاسية تحملها هذا الصبي ضاحكا هازئاً. كثير التملق قنوعـــاً يكتفي بما اعطاه ربه .. ان ربك لكريم ...

*

ويأتي من يسر في اذن ابيه ان الحمالين اغنى من ماسحي الاحذية. وينقلب صندوق البويا الى سل كبير من القصب يحمله على ظهره ويغدو يردد في الاسواق زاهياً منتفخاً بجدة حمله كما ينتفخ الجواد بجدة سرجه .. « مين بدو عتـــال ... امرك ياست ... امرك يا بيك ... » لقد برع صاحبنا العتال الصغير في الحمل والانحنـــاء والوثب والقفز والانسلال والانزلاق بين صفوف الناس المحتشدة في اسواق الخضار... ولم لايبرع ؟ اليست الحياة براعة في الدوران ومهارة في الالتفاف . اليست الحياة مصيدة يقع بها الاحياء كما تقع الذبابات في خيوط العنكبوت ؟ حقاً ان خيوط العنكبوت واهية

وينقلب صندوق البويا الى سل كبير من القصب . . .

ولكن من تراه ينكر ان الذباب ابو الوخز والنخز يقع فيعلق فينتفض فيعيا فيرفع رجليه استسلاماً ...

ثم تمر الايام ويشتهر في مملكة العتالين بسرعة قبوله وشدة امانته على البضائع المشحونة في سله . لم يكن قوياً ولكنه كان يتظاهر بالقوة ؟ اليست الحياة طلاء خداع يمسح به بنو البشر اساريرِ وجوههم .

ويسمع ابوه في الحي عنده ان حملة الصحف اكثر ربحا من حملة السلال . وان بائع الورق والكلام اكثر حرمة من ناقلي السلع والخضار !!

وبين ليلة وضحاها ينقلب صاحبنا العتال المعروف الى بائع صحف (عام ١٩٢٥) .

لقد خف حمله عن ظهره وكتفيه وثقل حمله في حنجرته وقدميه ، كان يغري بالناس لينظف لهم احذيتهم . فاصبح عليه الآن ان يغري بهم ليغرر بأخبارهم .

الثورة السورية في اجيجها والناس في حيرة والم وخوف وحقد وتمرد وانتفاض بعيد ومستعمر يطعم البطل وجوه الحق !؟ . واقلام اسلست جريمة الفاتح بسلاسل الباطل .

وبائع صحف متجول ركب قلبه في حنجرته واندفع ينادي نداءات طويلة مثيرة « المعركة الدامية اليوم .. صور المجاهدين .. الف قتيل ... اندحار العدو ... الحكم بالاعدام ... المذبحة بالشام ... آخر الاخبار .. الخ »

كل هذا يخرج بنفس واحد مديد ، لاينقطع حتى تبلغ الروح التراقي ، ويقع صاحبنا في حيص بيص ، هو ، امي ، لايفرق بين الصحف يطلبون منه « الاوريان » فيقدم لهم البشير ويطلبون البشير فيقدم لهم الاحوال وهكذا دواليك حتى جاء ذات ليلة

يشكي امره الى ابيه ، فيعده بأنه سيعلمه في كل مساء حروف الابجدية ليبين الخيط الاسود من الخيط الابيض وبعد بضعة ايام

استظهر الاحرف الهجائية استظهارا غريباً وانصرف يكدح فكره في مطابقتها على اسماء الصحف وعناوينها البارزة ولم يدع لوحة فوق باب متجر الا ووقف امامها ونقل عنها على مفكرته كلماتها ليفكك الغازها ، ولم ير كتابة في الطريق الا وتمرن على تقليدها، فتحسن خطه ، وقويت معلوماته ، وفي سنة (١٩٢٦) فتح الله عليه وغدا يقرأ الكلمة كاملة بحرفها .

وفي اوائل عام (١٩٢٧) انتظمت قراءته الى حد افهام السامع اما هو فكان شأنه شأن من يقرأ التركية، بالحرف العربي.

منذ هذه البرهة بدأ زملاؤه الباعة يشيدون بذكائه وربما كانوا يروون عنه في سهراتهم « آيات » ذكائه ونبوغه ...

ويا له من نبوغ وذكاء في فك الحرف وقراءة العنوان ... وقليل من الخمر يفرح قلب الانسان .

*

وتدور حلقات المصادقة فاذا به يتعرف على انسان « صرفي نحوي » يروي الملح والطرف والاشعار وقصص الجن والمردة ، فينصحه باقتناء القاموس ...

القاموس كما قال له آنئذ هو الكتاب الذي يعلم « الشعر والادب والعلم وكل ما هب ودب » وذهب الى اول وراق يسأله عن القاموس .

– اي قاموس ؟

– الذي يعلم الشعر والادب والعلم كله . وادرك صاحبنا غباوته ، وقال اجل : انت تطلب لسان العرب ...

هات خمسين ليرة .

وطار الولد الى والده وعاد مخذولا ، او منكفئا على لغة الحرب،ولكن لم تمر بضعة اسابيع حتى كان لديه المبلغ ،والقاموس وتناول اجزاءه واحداً واحداً يبحث في طياتها ، طوال الليل ، حتى اذا اطلت تباشير الصباح من خلال اخشاب كوخه يمضي الى عمله شاحب الوجه ساهم الفكر ، يحمل ملء جفنيه اصفرار لسان العرب ، واشباح الآمال المتوائبة .

*

كان لاينفك وهو يبيع صحفه يتذكر ما قرأ البارحة وما دونه من اسماء للاسد ، والسيف ، والارض ، والسماء وكثيراً ما كان والده ورابته رحمها الله – لهذه الرابة صفحات طويلة في مذكراته يكتمها عن نفسه كتما – يحولان بينه وبين القراءة آناء الليل . لزعمهم انه يسرف في استعمال الغاز فكان يضطر الى متابعة القراءة في الشارع ليلا تحت مصابيح المدينة يجلس على الرصيف ويستند الجدار حتى تغشاه سنة النوم ، ولا يستيقظ الا عند انبثاق الفجر على جلبة المارة ويتفقد الكتاب الذي يكون بين يديه فاذا هو اثر بعد عين وينتبه في بعض الاسحار فجأة على يد تلامس الكتاب برفق ويتبينها فاذا هي يد الحارس الامين ؟ لقد صدق المثل القديم – حاميها حراميها – وينسل بائع الصحف فجأة الى رواق الاندية يلتهم الاخبار ، ويشاهد الحفلات ، ويحشر نفسه حشراً بين صفوف المقدمين ويذكر فيما يذكر ان ما قيل في وفاة سعد زغلول قد افاده كثيراً لانه استظهر القصائد والمقالات

مما اعانه عـــلى تفهم الكثير من صور الادب ، و (عام ١٩٣٠) عندما كان في صالة « كوكب الشرق » يبيع صحفه ومغنية تركية تحيي في تلك الليلة حفلة غنائية اذا بعجوز يدخـــل ووراءه شاب وسيدة . تفرس بالعجوز فاذا هو امير الشعراء شوقي واذا بالشاب، محمد عبد الوهاب . فطار الى الخادم وقال له هيء نفسك لخدمة « امير الشعراء » .

- حل عنا بلا شعر بلا غيره — ولما استقر المقام بالامير حول منضدة دنا منه وعرض عليه صحفه ثم احـــدق به وقال : الست شوقي بك ؟

— بلى ، أأنت شاعر ! قال : لا ولكنني راوية،طيب وعرفتني ازاي ؟ من تكرار رسومك في الصحف . وبعد كلمات عابرة لثم يده ، فالتفت امير الشعراء اليه وقال :

— بدري ياسي محمد .

— اشكركم يا مولاي

ثم ودع وانصرف كقطعة من الكبرياء والشموخ وعيون النظار الجشعة تتهامس من حواليه في دهشة .

*

ومن هنا بدأ صديقنا حياتـــه ، وتفتحت اجنحة نفسه على دروب الطموح ، وكثر معارفه بين حملة الاقلام ، وعلم لاول مرة ان الحياة ، صعيد واحد ، قسمه المجتمع ، او قل ، تقاليد المجتمع الى مقاطعات ، وان في مكنة الانسان ان يقفز من مقاطعة الى مقاطعة ، بقليل من المغامرة ، وقليل من الجرأة ، والتطفل .

كان بكاء نواحاً فشريداً يتيماً ، فجائعـــاً ، فخادماً دواراً ، فماسح احذية ، فعتالا ، فبائع صحف ، فأمياً فمتعلماً يقرأ على ضوء مصابيح الشارع ، فكاتباً ناشئاً ، يوقع المقالات في الصحف السيارة فراوية شعر ، واخبار ، فمتطفلا عـــلى كل مائدة .

وينتقل (عام ١٩٣١) شوقي الى رحمة الله او قل تنتقل رحمة الله الى قلب شوقي ، فينصرف الزاوية النـــاشيء انصرافه كله الى استظهـــار ما قيل في صاحب « كرمة ابن هاني »

ثم تمر الايام ، وتحمل اسلاك الموت الفجيعة بفيصل ، فاذا به في تلك اللحظة . يمضي الى محاولة التعبير ، وينظم مقطوعة تنشرها يومئذٍ « النداء » وما يكاد رفاقه الباعـــة يطالعون اسمه في تلك الصحيفة حتى يلتفون حوله ، خير التفاف ، ويعقدون الحلقـة ، ويسلمونه زمام امورهم ، لقد اختاروه رئيساً لهم ، او قائداً اذا شئت ، وهم فخورون به فخرهم بانفسهم . لقد خرج من صفوفهم الفقيرة رفيق كبير يحشر اسمه مع الرجالات الكبار .

ويحدث في تلك الأثناء ان « الاوريان » الجريدة الفرنسية « حرفاً ونفساً » تصدر ملحقاً ، تتحدى به حرمة الموت والعظمة ، فيدعو قائـد باعة الصحف زملاءه وما هي الا لحظات حتى تتكدس اعداد الجريدة المذكورة في ساحة الشهداء فيصب عليها البترول وتندلع منهـا السنة النار .

ويأتي الشرطة ويقتادونه ورفاقه الى الدائرة وتمر بضع ساعات ثم يخرج مرفوع الرأس ، عالي العين .

الم يقم بواجبه فيضرم النار في السنة الباطل ويقف خطيباً في

مئة وخمسين من رفاقه ويقودهم الى مكتب الجريـــدة المذكورة وتوصد عليهم الابواب من الوراء بعد دخولهم ، وتطل مسدسات البوليس وعصيهم ، ويسألون عن الغاية ويعلن لهم باسم رفاقه انهم جاؤا يقولون لصاحب الجريدة اما ان يعتـذر ، في نشرة خاصة ، واما ان يقاطع بيع الصحيفة وتجري المخابرات ، ويصر باسم رفاقه على تنفيذ قانون المقاطعة مهما كانت النتائج ، وترضخ « الاوريان » للامر الواقع ، اعني للحق ، وتذيع بياناً تعتذر فيه فكان اعتذارها بالنسبة اليه ، اشبه ما يكون بتهجمها ، لقد بطلت الى الابد شهادة المارقين .

ما اجمل الانتصار وما اشد وقعه في النفس فهو ينمي فيها قواهـــا الكامنة ، ويدفعها الى الى الامام دفع الموجة للموجة ويجدر به ان يقول لك انـه اصبح مديراً عاماً ذائع الاسم مسؤولا عن باعة الصحف في المدينة ، يخفض الاسعار ويرفعها ، ويحيي الصحيفة التي يحب ويقضي على التي يكره.

ثم تتوسع دائرة عمله ويصبح اسمه موقرا عند اصحاب الاقلام واصحاب الامتياز ، اذا حدثت له حادثة نشرت في محلها البارز ، واذا خطرت له خاطرة قوبلت بالاستحسان . وبين (عام ١٩٣٠ـ ١٩٣٤ يمضي فينتقل في المصايف العالية يسهر عـــلى حركة البيع وينظم امرها .

*

ويحط رحاله (عام ١٩٣٥) في بلدة شتورة ، وشتورة كما يعرف

القارىء واسطة العقد في السياسة السورية اللبنانية ، وندوة الرجالات والاثرياء ، واصحاب الافراح ، في ظلالها تورق وجوه الحسان ، وترق عواطف الشبان ، وتزن كؤوسهم ، وفي افيائها تحبك مؤامرات السياسيين ، وتشبك رغباتهم وآمالهم وتتم صفقاتهم ..

وعلى ضفاف نهرها الهادىء يتهامس المصطافون - مع زقزقة الطيور وسقسقة الامواه ، ورقة النسيم ، وحنو الغروب ويقظة الصباح . في شتورة امسى الفقير الامي جليس الاغنياء المترفين ، ومحدث الباشوات المصطافين ، وسمير الصبايا ، والغوادي ومكاتباً لبعض المجلات الادبية « واستاذا » ...

ولم لا يصبح لقبه « استاذا » وقد خلع هذا اللقب بكل سهولة على الف زبون من زبائنه عهد كان ماسح احذية .

ولم لا يصبح لقبه « استاذا » في بلد « استاذته » اكثر من عدد سكانه .

ويذكر في مذكراته ، المخطوطة التي يحتفظ بها الاخبار الثلاثة التالية .

هبط الدكتور محمد حسين هيكل باشا فندق مسابكي في العاشر من شهر آب ١٩٣٥ وحالما وقعت عينه عليه جهز نفسه بكل عتاد ليتقدم اليه ، ويتعرف عليه ، ويدنو منه ويسأله اذا كان يرغب في مطالعة الصحف ... وفجأة ينفتح باب الحديث ويسمح الباشا فيقف معه امام عدسة المصور وتنشر جريدة « الاحرار » صورتها مع هذا الحديث الذي دار بينهما ... عن الادب ، والسياسة ويتلقى التهاني من كل صوب على هذه « الوثبة المباركة »

« ضيف بيروت الاديب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل

والى يمينه بائع الصحف محمد قره علي... ومن الطف ما اتفق لاديب مصر الكبير منذ ايام انه التقى في حديقة فندق مسابكي في شتورة

ببائع الصحف المصرية النشيط محمد قره علي فابتدره هيكل باشا سائلا بلهجته المصرية :

– واياك الاهرام ؟

البائع – لا والله يا حضرة البيه ، معي اهرام لبنان أعني « الاحرار »

– طيب هات الاحرار ؟ ومعك ايه غيره ؟

– سلامتك

– اذن انت بتبيع الاحرار بس

– نعم ولا لزوم لغيرها

– عال ، وهي الجريدة الوحيدة

– ربنا يحفظكم

– طبعاً « الاحرار » هي لسان حال الاحرار كالسياسة عندنا لسان حال الاحرار الدستوريين في مصر

– ايوه تمام

وبعد ان دفع الدكتور هيكل ثمن الجريدة مضاعفاً قال للبائع وهو باسم ؟

– قول لي ممنون كده ؟

وانفتح باب الحديث امام البائع الذي اغتنم الفرصة وطلب من الاديب الكبير رسمه ليستبقيه تذكاراً ، واذ لم يكن معه رسم فتوغرافي فقد تلطف ووقف امام آلة مصور كان في الحديقة وأوقف البائع محمد قره علي الى يمينه وقد عاد البائع – وهو من المولعين جداً بادب الدكتور هيكل – قرير العين بهذه الخطوة التي

تالها بتخليد رسمه الكريم مع رسم امير من امراء البيان في هـذا الزمان . – جريدة الاحرار ١٧ آب ١٩٣٥ لصاحبيها الاستاذين خليل كسيب وسعيد صباغة »

... وفي صباح ٢٢ تموز ١٩٣٦ قرع جرس الهاتف في فندق المسابكي من قبل القنصلية المصرية معلنا توجه العـــالمين الجليلين الاستاذ احمد امين رئيس لجنـة التأليف والترجمة بالقاهرة والاستاذ عبـد الرحمن عزام وزير مصر المفوض يومئذ في العراق والاقطار العربية فحدثه – نعم حدثه – الياس مسابكي بذلك وما هي الا بضع ساعات حتى وصلت سيارة الرجلين الكبيرين فكان في هذه الفترة قد نظم ابياتاً من الشعر واعد نفسه للكلام امامهما ... وبعد ان مرت بهما فترة الاستراحة دنا منهما مرحباً مهنئاً بسلامـة الوصول ثم عرض صحفـه ولما اختاروا بعضها ... وشرعوا بدفع الثمن اعتذر اليهما ؟ وهنا انفتح باب الحديث ثم انشدهما الابيات الترحيبية على مأدبة الطعام وحالما انتهيا من تناول طعامهما خفا الى حافة النهر وجلس الى جانبهما ثم بدأا معه حديثا شجعه عـــلى الاسترسال وهو شاكر لهما هذه العاطفة الكريمة ... وما هي الا ساعات معدودات حتى كان مصور الحديقـة قد اخذ لهم رسوماً تذكارية نشر بعضها في مجـــلة اللطائف المصورة المصرية والمصور الدمشقية وجريدة الاحرار البيروتية .

وقد نشرت الاحرار هـذا الرسم في عددها ٨٦٨ / ٢٩ تموز ١٩٣٦ يومئذ مع الكلمة التالية : « والذي نلاحظ بأعجاب ان

السيد محمد قره علي يعرف ان يكسب عطف ادباء مصر كلما اجتمع اليهم ففي العام الماضي نشرنا له رسماً مع الدكتور هيكل باشا ، وها نحن اولاء نراه قد اكتسب صداقة شخصين لهما مقامهما في عالم الادب والسياسة ، فقرباه وتصورا معه ، واتحفاه بالشهادتين التاليتين « ساعة سعيدة قضيناها في شتوره فنعمنا فيها بجوها الجميل وهوائها العليل ومائها النمير كما نعمنا بفندقها اللطيف للخواجه مسابكي ، وهبط علينا من حيث لاندري الاديب محمد قره علي فرأينا فيه بائع جرائد ادب نفسه واوسع علمه ورقى معارفـــه فكان لنا من كل ذلك ساعة جميلة لاتنساها ووقت لطيف ستبقى ذكراه في نفوسنا مدى الحياة — ٢٢ تموز ١٩٣٦ « احمد امين ، عبـــد الرحمن عزام » .

وكتب الاستاذ احمد امين بك على الصورة الكلمة التالية :

« ذكرى ساعة لطيفة قضيناها في شتوره مع الشاب المجتهد محمد قره علي بين الغياض والرياض - ٢٢ / ٧ / ٩٣٦ « احمد امين »

قالت اللطائف المصورة تعليقاً على الصورة المقابلة ما يلي :

« صورة تذكارية اخذت في ٢٢ يوليو الماضي في حديقة فندق مسابكي لضيفي شتورة البقاع بلبنان وتزيلي فندق مسابكي الاستاذ عبد الرحمن عزام وزير مصر المفوض في طهران والعراق واحمد امين رئيس لجنة النشر والترجمة بالقاهرة واقفين بين الخواجه الياس مسابكي والاديب العاملي المعروف محمد قره علي الذي انشد ابياناً مرحباً بهما فأعجبا ببلاغته وقرباه منهما وعجبا لانه ينظم الشعر ويرقى المنبر مع انه لم يدخل المدرسة »

– دنا منه عام ١٩٣٧ مسلماً واذا به يقف امام رجل قصير القامة بدين نفض عنه غبار تسعين حجة ونيف ولم يعلق على همته منها شيء بل رصع هذه السنوات بعلومه الرفيعة وارائه الحرة وخدماته الجليلة في سبيل العرب حتى اضطهد في عهد بني عثمان ولبث منفياً خمسة وثلاثين عاماً في بلاد النيل وعلى الرغم من عمره هذا لا يزال شديد السمع نافذ البصر والبصيرة متفجر اللسان ناصع البيان كريم الشمائل رقيق الخلق اذا سار سار ببطء لا عجزاً بل رحمة بمن ينطوي التراب على ذراتهم ، لا تكاد تحدثه عن شيء حتى يندفع كالسيل ، [١] عرفت الرجل الكبير بفندق مسابكي في شتورة . اقترب مني صاحب الفندق الكريم هامساً :

الا تعرف فارس باشا نمر ؟ واشار بيده اليه ، فدنوت من العلامة مرحباً وقلت : ارجو ان يكون سيدنا الباشا ناعم البال في هذا الصيف ؟

اجاب : الحمد لله .

ومتى غادرتم الوطن ؟

– بعد عام الستين بقليل .

– متى انشأتم المقتطف ؟

– عام ١٨٧٦ .

– قرأت في الصحف ان الخديوي انعم عليكم بلقب باشا فرفضتم .

– كان ذلك في عام ١٩٠٤ عندما انعم علي بهذا اللقب فرفضت

١) نشر في مجلة المكشوف ٨ ايلول سنة ١٩٣٧ لصاحبها الشيخ فؤاد حبيش

لان بعض الناس كانوا يسعون لهذا اللقب عن طريق المادة . ومهما يكن فاننا نشكر الحكومة المصرية على عنايتها التامة بنا .

ـ اين كنتم قبل نزولكم هذه الواحة ؟

ـ كنت انجول في البلاد : زرت انطاكية واسكندرون المدينتين الجميلتين اللتين اصبحت قضيتها خطراً على البلاد العربية[1] . وقد سررت بمنظر بلادي اذ رأيت التقدم مستمراً فيها من الوجهتين العمرانية والادبية واذكر يوم غادرت بلدي حاصبيا انه لم يكن شيء مما ارى .

وها انني اعيد النظر فيما حولي فأرى الارض كأنها بدلت والسماء تغيرت . انني رجل عجوز يزور البلاد مودعاً ومن يدري اذا كانت عيناي سترى بعد اليوم سماء الوطن !

ـ عمر مديد وعيش رغيد ان شاء الله . ثم قلت :

هل لسيدنا الباشا ان يتفضل بحديث للنشر ؟ فاعتذر بانه عجوز، وان ارائه اصبحت قديمة ، وانه جاء لقضاء ايام راحة وطمأنينة وبعد عن جهد الفكر ، وان في رجال البلاد وشبابها كفاآت لادارة سياستها والاهتمام بتقدمها بعد ان ظفرت بالاستقلال الذي كثيراً ما سعت اليه في عهد الاتراك مع انور ونيازي وغيرهما .

فودعت الدكتور نمر لاثماً يده الغالية متمنياً له طيب الاقامة في ربوع بلاده » .

*

---

١) جرى الحديث في ٨ ايلول ١٩٣٧ قبل ان تعاهدت السياسة الغربية والسياسة التركية على الغدر بالوطن العربي وبتر اللواء منه .

جميلة جداً هي الذكرى المنبثقة من اعماق الماضي ، الصادرة عن عقبات الجهد ، والمثابرة والتطلع .

جميلة هي الذكرى التي تقل هذا الانسان من زوايا الخمول الى شرفات الشهرة . من الكوخ ، و « بسطة » الشارع وسل الحمالين الى منضدة الخطابة و كرسي الانشاد ، وندوة القادة .

*

وبعد لقد اصبح صاحبنا في مجتمعه ، عضواً حياً بعد ان كان عضواً مزرياً ، ولكن حيوية الحياة لم تضعف عنده بل ظل الدم ، يدب في اساريره وظلت الاماني تدفع اجنحته ، وراح يتنقل في المنتديات ويغذي نفسه بالقراءة والسؤال والجرأة ، حتى اطل اليوم وله في كل مسأله انف طويل وله في كل ندوة صديق ، لم يعد بائع صحف (منذ ١٩٣٩) ولا ساكن كوخ خشبي . انه الآن رجل مجتمع يفكر ، ويتأمل ويحلم احلاماً بعيدة :

وهو يذكر دائماً انه بدأ عمره في كفة الميزان في مدينة « انفرس » على رنين الذهب ، وانه يود ان ينهي عمره في كفة الميزان في مدينة بيروت على خفق القلوب ورنين الفكر ، وسيظل كما قال له صديقه الشاعر القروي في كتاب اليه « وسيطاً بين الادباء والشعراء ، يرعى خراف النفس الشاردة ويجمعها الى حظيرة ذهنه ، وقلبه . »

*

اما ابوه فلما يزل الى جانبه .. اما اخته فقد اصبحت اماً .

اما هو فقد حمل في قرارة قلبه .. صندوقاً ، وسلّا ، وعربة

وملفاً ، واملا يغمر به جنبات الارض .

*

لن ينسى ماضيه وهو كلما حرك قلمه اليوم ليكتب ، غمسه في ثلاثة وثلاثين عاماً ، لو جسدت في يده لكانت قطعة حرى من

الدم والحس .

ان طريق الجلجلة واحدة ، وان اختلفت السبل .

*

ان اكليل الشوك كأكليل الورد كلاهما طريق القمة .

*

وبعد لقد مررنا على صوره مروراً عاجلا وهو لم يزل على الدرب يغني اطياف نفسه ويحيا في تلفت ماضيه ، وينتقل بين الوظيفة [1]

(١) اذا كان من الفضل ان يذكر المرء بفضله ، فهذه الوظيفة ادين بها لرياض بك الصلح

والصحافة ودنيا القلم ..

اما متى يستقر لحنه الاخـــير في سلسلة حياته فذلك في ضمير الغيب ...

اما متى يتم صفحات مذكراته مبوبـــة مفصلة فذلك في ضمير الغيب ايضاً ...

ولكنه يقول انه لن ينسى ابداً ان يده هي التي بدأت قصة حياته .

والذين يبدأون قصصهم بأيديهم هم الذين ينهونها بأيديهم ايضاً

***

وبعد لن يتم صفحات مذكراته ولن يبوبها مفصلة الآن بل سيكتفي ان يعرض على القارىء منها هذه القطع التالية التي هي في الواقع ثمرة هـــذه المذكرات والتي كتبها في ساعات مختلفة من تقلبات الايام بعضها عن نفسه ومن نفسه وبعضها عن النـــاس ولكنه او – لأكن اكثر صراحة فاقول – «ولكنني» آمل الى القارىء ان يتصفح هذه الصفحات ليرى كيف ان « حمالا مثلي » من حاملي السلال تمكن بالجد ان يكون حاملاً من حملة الاقلام ينظم وينثر ويخطب ويتحدث عن مصير الوطن وعن رجـاله وعن الاحياء من ابنائه الخلص وعن الراحلين من ابنائه الخلص ايضاً .

***

لقد كنت ابيع كتب الناس وصحفهم فاصبحت الآن بحاجة الى من يبيع كتابي .

ايها الباعة يا رفاقي اذكروا دائماً ان كل نسخة تبيعونها من هذا الكتاب هي حجر تزيحونه من طريقكم . لن انسى ابداً انني واحد منكم .

وانتم يا ابناء وطني ولا سيما ابناء ، موطني جبل عامل ، كم هو جميل ان نفتح طريق النور امام جميع ابنائنا فيتمكن ابن قريتي الصغيرة « برعشيت » ان يحمل في نفسه خير الحياة لا ان يبدأ حياته في حمل سلال القصب لينقل بها لكم الاطعمة وتوافه البيوت.

ما أظلمكم ! عفوا احببت ان اقول ما أظلمنا .

الامل الحائر (١)

•

أمل عليـــه من الشعاع تألق ومؤمـــل فوق النجوم محلق
يتلقف اللذات من دفق الضحى ويكاد يعـثر بالضياء ويزلق
ويمر من فوق السحاب كأنه قوس السحاب على المجرة مورق

*

يطوي الفضاء بزورق بجذافه جفن الضحى وعموده المتدفق
الديمة السمحاء خيط شراعه وعلى سواريه العطاش المشرق
ما زال يطوي كل دارات الفضا وعـلى دروب اللانهاية يعنق

*

حتى اذا سئم الضياء وربمـــا سئم الضياء الناظر المغرورق
عاف الفضاء وعـاد وهو مدله حيران لايأسو ولا يترفق
الف الظلام وبات في احشائه سر بأهداب الزهور معلق
وعلى الجداول انـــة مشبوبة هي من حنايا اليم قلب يخفق

---

(١) نشرت في مجلة « الكتاب » الغراء الصادرة عن دار المعارف بمصر شهر تشرين اول ١٩٤٦

اخي

ابدأ هذه الصفحات بهذه الدمعة اسكبها على اخي الذي مات في سنة ١٩٤٠ في الثاني من ايار شهر الورد . وكان اخي رحمه الله كالورد يملأ نفسي قوة ونشوة فاذا به عند الموت يملؤها الماً وشكوى .

اخي علي

امشرقة [1] روحك على اخيك وهو يسند رأسه بشماله ويمسك القلم بيمينه ويغمسه في دموعه ليخط هذه الكلمة التي يسلخها من روحه فتشهده كيف يغص بريقه ويشرق بدموعه وتجيش نفسه

(١) نشرت في مجلة الامالي عدد ٣٦ عام ١٩٦١ لصاحبها الدكتور عمر فروخ .

بالاسى والالم وهو لاه إلا عن صورتك التي صحبهـــا عشرين عاماً يستجلي قسماتها ويستعرض ماضيها واذا سار في الطريق ابصرت به يميل ذات اليمين وذات الشمال واذا خوطب حيـل بينه وبين سمعه وقلبه حتى لا يعي ما يقول ولا ما يقال .

هل انت نافذالى نفس اخيك تستطلع اسرارها فترى أن الحياة التي كان يحبها ويهتف لها اصبح لا يستمرئ فيها إلا الاسى والاسف.

اخي ، اتراني ساعة اقبل بعينيّ كل آنية أو أثاث مرت عليـه يداك و كيف اني اعي الغبار العالق بجدران بيتنا الحقير أو عـلى متاعه ضاناً ان تزيله النسمات فربما كانت عيناك الجميلتان قـد وقعتا عليه ولو عفواً وانت تجيلها سادراً .

أصحيح يا اخي ان البلى عبث بذلك الوجـــه الاسمر وبتينك العينين وباللسان والقامة الهيفاء والقلب الحنون المملوء حباً للخير واحتراماً للناس ،

ما اذكر اني ارهفت اذني مرة لسماع لحـــن يهزني إلا سمعت صوتك يدوي في جوانب نفسي فيفعل فيها فعل التسبيح في قلب المؤمن فيعلمها ان لا حياة إلا بجانب الأخ وقـد طاب ريحه وصفا وده وفهمت حقيقة امره وما يجب عليه ازاء اهله وعشيرته ، وقـد كنت كل ذلك من اخيك فبمن اتعزى عنك بعد ، أم كيف تغرب عني وخيالك لا ينفك مرافقي في كل مطاف .

اخي حسبي هذه الدنيا السوداء تلفني بردائهـــا وتقذف بي في مجاهل بؤسها وشقائها . انها الدمعة الاولى التي اذرفها على مثواك . اسكنك الله فسيح جناته والى اللقاء يا علي .

منطق الرثاء في الصداقة سنة ٦٥٠ ق . م.

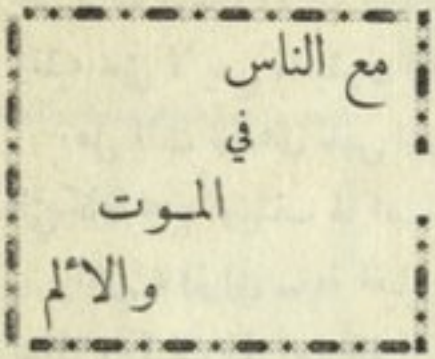

●

تعلق [1] بذهني هذه القطعة في الرثاء منذ أمد بعيد ، وخلاصتها انه كان للامبراطور الصيني « تانغ تاي سونغ » المتوفى سنة ٦٥٢ ق . م . مستشار يدعى « واي تشنغ » وكان هـذا المستشار في باديء امره من اعداء الامبراطور المسرفين غير انه وقع اسيراً في يده في احدى المعارك فلما مثل لديه واستمع الي حديثه اعجب به أيما اعجاب ثم جعله مستشاره الخاص . ولما حضرته الوفاة وقف (الامبراطور) يبكيه ومما قاله : كانت لي ثلاث مرايا في حياتي :

الاولى : مرآة من المعدن أتزين امامها واصلح هندامي .

والثانية : صفحات التاريخ اصلح عليها اخطائي السياسية .

والثالثة : صديقي الذي مات « واي تشنغ » اذ كانت شخصيته تفضح عيوب خلقي اليومية . فبموته خسرت أفضل هـذه المرايا واصدقها ...

---

(١) نشرت في مجلة « الصياد » ٥ نيسان ٩٦٥ لصاحبها الاستاذ سعيد فريحة

فتى الكهرباء

حسن كامل الصباح المخترع

•

ولد حسن كامل الصباح في النبطية[1] – جبل عامل – عام ١٨٩٦ من اسرة ترجع بنسبها الى الى الشيخ الصباح امير الكويت ومن سلالة يعقوب ابن الصباح الفيلسوف الرياضي الشهير الذي عاش في اوائل الدولة العباسية .

والمعروف عن حسن كامل انه كان مولعاً منذ حداثته بالحساب والشعر وعلم الفلك اذ درس الجبر والهندسة بدون معاونة استاذ وهو لما يبلغ الرابعة عشرة من سنه . ومنذ ذلك الحين تجلت فيه امارات النبوغ . وفي اواخر السنة الاولى من دخوله الى المدرسة السلطانية في بيروت اخذ بعين طلاب السنة الخامسة في حل مسائل جبرية شديدة التعقيد . وفي خلال ثمانية اشهر اتقن اللغة الفرنسية . ثم انتقل الى الجامعة الاميركية فألمّ باللغة الانجليزية في خلال ستة اشهر الماماً بارعاً اثار اعجاب اساتذته ورفاقه . وقال احد رفاقه في

---

(١) نشر هذا الفصل في مجلة «الاديب» ١ نيسان ١٩٦٦ بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاة فقيد العلم، ونشر بمعناه مقال اخر في «بيروت المساء» عدد ١٣ – ١٩٦٧

الجامعة انه كان وهو في الصفوف الاولى يشترك مع اساتذة الصفوف العليا في حل المسائل الرياضية . ثم دخل قسم الهندسة ولم يتم السنة الاولى اذ دعي في سنة ١٩١٦ الى الجندية حيث نقل الى الاستانة وهناك تيسر له دخول قسم التلغراف اللاسلكي ودرس اللغة الالمانية واستحضر كتباً رياضية في تلك اللغة ، ثم عين قائداً لمفرزة التلغراف اللاسلكي في - غاليبولي - وبقي فيها حتى انتهاء الحرب اذ قبع راجعاً الى دمشق حيث عين فيها معلماً للرياضيات في المدرسة السلطانية . وفي هذه الحقبة من الوقت توصل في درسه الخاص الى فلسفة التحليل الرياضي ، وفي سنة ١٩٢١ رجع الى بيروت حيث عين مدرساً للرياضيات في الجامعة الاميركية . وكان الجامعة وما فيها لم تشبع نهمه فغادرها مهاجراً الى الولايات المتحدة للالتحاق بمؤسسة ماساتشوستس الفنية وتعد هذه المدرسة اعظم مدرسة في العالم . ولما قدم امتحانه المدرسي اعفته للحال من جميع الدروس الرياضية في برنامجها كما اعفته من دروس الطبيعيات .

ولم يمكث طويلاً في هذه المدرسة حتى غادرها الى جامعة النيويس ولم يبلغ نهاية العام في هذه الجامعة حتى قدم استاذ الفلسفة الطبيعية فيها اقتراحاً للعمدة بمنح الاستاذ كامل شهادة استاذ علوم M. A. غير ان العمدة لم توافق على هذا الاقتراح بحجة ان التلميذ يجب ان يقضي سنتين على الاقل في الجامعة وهنا كانت نفسه قد ارتاحت الى ترك الحياة الدراسية ودخل حياة العمل فعين في شركة الكهرباء العامة .

في سكنكتدي بنيويورك وتعد « Général Electric. C° »

هذه الشركة من اعظم شركات العالم . ولما بدأ يخترع الاختراعات المدهشة عينت له مختبراً خاصاً ومكتباً خاصاً ووضعت تحت تصرفه مهندسين يعملون بأرادته وبعد ان وضع هندسة جديدة للكهرباء أخذت تنهال عليه شهادات رؤساء الجامعات واكابر علماء الغرب كرئيس المؤسسة الكهربائية في « بوسطن » « ماساتشوستس » المعروفة باسم « ام . آي . تي . » والاستاذ « كاستلوفرانش » استاذ الكهرباء في جامعة ميلان في ايطاليا والاستاذ « مويس لوبلان » العالم الفرنسي الشهير ورئيس الجامعة الاميركية في بيروت ثم ارسلت اليه الشركات الكبرى شهاداتها واعترافاتها بصحة اختراعاته ومن تلك الشركات « وستنكهوس » الكهربائية في شيكاغو وثلاث شركات كهربائية المانيه .

وبعث اليه المستر « هوفر » رئيس الولايات المتحدة السابق بكتاب يظهر له فيه اعجابه بنبوغه وبنبوغ العالم العربي .

وفي سنة ١٩٣٢ منحه مجمع مؤسسة الكهرباء الاميركاني في نيويورك لقب فتى العلم الكهربائي وهذا اللقب لا يمنح الا لمن اخترع وابتكر ودرس في فن الكهرباء مدة عشر سنوات .

وبعد ان تعددت شهادات علماء الغرب في افضلية مبادىء العالم العربي ابن الصباح اضطر اولياء الشأن في شركة الكهرباء العامة في سكنكتدي بنيويورك لدعوة كل المهندسين الذين يعارضونه إلى اجتماع كبير عقد في مكتب الشركة وذلك سنة ١٩٣٢ . هناك دارت دائرة الجدل بين كامل الصباح الغريب الذي لا نصير له الا الحق والمنطق وبين رفاقه الخصوم وبعد جهد في الاقناع افحمهم

بنظرياته وتجاربه العلمية حتى اذا انتهت الجلسة وقف رئيسها العالم « البرت هل » وقال : « لقد تبين الآن ان نظريات ابن الصباح لا وهن بها وهي متينة من الوجهة العلمية المقنعة » . في النهاية خرج المهندسون مطأطأي الرؤوس واضطروا لتطبيق نظرياته في جميع معاملهم ومؤسساتهم .

ولقد كان فوق تعمقه في العلوم الرياضية والطبيعية وخاصة فرع الكهرباء منها يتقن خمس لغات ،العربية والانجليزية والتركية والفرنسية ، والالمانية . وكان الى جانب ذلك كاتباً في العلم والادب والاجتماع وكثيراً ما توج الصحف الانجليزية والعربية بمقالات علمية رائعة ، ثم ان له رسائل واكثرها الى والده والى خاله العلامة الشيخ احمد رضا وكثير منها الى اصدقائه الذين كانوا يطارحونه اسئلة متشعبة في الادب والحياة .

ولا بدّ من الاشارة الى ان الشركة التي كان يعمل فيها قد انتدبته ليمثلها في المؤتمر العالمي للكهرباء الذي اقيم في باريس عام ١٩٣٢ فلم يستطع الشخوص وكتب تقريراً ضافياً باللغة الفرنسية تلي في المؤتمر فلاقى استحساناً عاماً .

ولقد بلغ ما سجله من اختراعات عام ١٩٣٢ حسب البيان الذي نشرته الشركة في ذلك العام ثلاثة واربعين اختراعاً ، وقالت صحف المهجر بعد وفاته ان اختراعاته بلغت السبعين . ، منها اختراع في التلفزة يحول اشعة الشمس الى نار وقوة كهربائية واختراع آخر هو استعمال شعاع الكهرباء لاذاعة صور الاشخاص والاشباح على جناح الاثير .

ولقد كان غاية ما يطمح اليه الفقيد العظيم هو ذلك الاختراع الذي يسخّر اشعة الشمس المحرقة الى انارة المدن والقرى في بلاد العرب وهو من اجل هذا الاختراع ابتاع الطائرة التي كانت من اسباب وفاته لأنه كان يأمل ان يحلق بها فوق البلاد العربية اجمع ويستقر الى حين في هذه البلاد حيث يجري تجاربه ، وقد كانت مفاوضات تجري بينه وبين عاهل العرب المغفور له فيصل الاول لأنشاء مصانع لتوليد القوة الكهربائية وتوزيعها على كل الاقطار العربية لولا ان فاجأه القدر بوفاة العاهل الكبير فيصل . واليك نصّ المقال الذي كتبه بقلمه عن هذا المشروع العظيم :

تمكنت من استنباط بطارية كهربائية ثانوية يتولد بها « حمل » كهربائي بمجرد عرضها لأشعة الشمس . ولبيان ماهية هذه البطارية اقول : لنفرض اننا وضعنا عدداً منها يغطي مساحة ميل مربع في وسط الصحراء العربيـــة ، حيث لا غيوم ، فالقوة التي يمكن استصدارها من الشمس عنـــدئذ تكون مئتي مليون كيلوات « فولت » أو مئة واربعين مليون حصان غير ان البطارية يمكنها ان تستخدم جزأ من عشرة الاف جزء من هـذه القوة فيكون ما تستحصله من الشمس بواسطة هذه البطاريات قوة كهربائية لا تقل عن مئة الف كيلوات (فولت) اي قوة تزيد خمسين مرة عن اعظم قوة يمكن استحصالها من مولدات نهر الصفا بلبنان الـــتي اقموها حديثاً .

ان القوة الكهربائية التي تولد من نهر الصفا هي جزء حقـير من القوة النورية الواقعة على الارض من اشعة الشمس . هـذا الجزء

الحقير يبخر المـــاء فيصبح غيوماً ثم سواقي وانهراً ثم شلالات . وعليه فان استخدام اشعـــة الشمس وتحويلها رأساً الى قوة كهربائية بدون استخدام ما كانات بخارية هيدرولية (مائية) ومولدات كهربائية متحركة هي الطريقة الطبيعية الرابطة لاستخدام اشعة الشمس اذا حملنا البطاريات بالحمولات الكهربائية من اشعة الشمس للصحراء العربية ، نكون كأننا عثرنا على ابار بترول لان الذي يجعل البترول ثميناً هو مقدار القوة التي يكمنها بين دفائقه . ولنفرض اننا اسسنا مزرعة بطاريات شمسية كهربائيـة في اواسط الصحراء العربية بين دمشق وبغداد ثم صنعنا سيارات كهربائيـة تسير تلك البطاريات عوضاً عن البنزين فيقف سائق السيارة عنـد كل مزرعة بطاريات ويستبدل البطاريات التي استعمل حملهـــا الكهربائي في تسيير سيارته ببطاريات قد ملأتها اشعة الشمس بحمل كهربائي كامل من تلك المزرعة الشمسية .

بهذه الوسائل ومثلها يمكن تحويل الصحراء العربية الى مدن عامرة آهلة بالسكان فيعود اليها مجدها السابق .

ولقد قرأت مؤخراً ان فيلبي قام برحلة الى قلب الربع الخالي ووجد على ضفافه بقـايا مدينة مندرسة كانت مسقط رأس الشاعر المعروف بالفرزدق .

ولقد وجد في قلب الربع الخالي مكاناً لم ينهل الاديم منذ عشرين سنة فلو حولنا تلك الاشعة الشمسية المحرقـــة الى قوة كهربائية واستخدمناها لتسهيل المواصلات وحفر الآبار الارتوازية والمبردات الكهربائية والمراوح لاصبحت الصحراء معمورة كلها عمراناً تحسد

عليه ، فالناس والمدنية تحوم حول مصادر القوة ، وهذا مصدر من مصادرها عظيم . لقد توصلت الى هذا الاكتشاف بادوات اشتريتها من مالي الخاص واشتغلت في بيتي الخاص وبوقتي الخاص ومع ذلك فان شركة الكهرباء العامة لم تسمح لي بأخذ امتياز باسمي وهي ستستثمر هذا الاختراع فلو كنت مشتغلاً لحكومة من الحكومات العربية مثلاً لرجع الربح اليها وهو كما ذكرت سالفاً يماثل ابارا كثيرة للبترول والبنزين اي انه يحوي ثروة طائلة كاملة .

موت كامل الصباح

بعد ظهر الاحد الواقع في ٣١ اذار سنة ١٩٣٥ ذهب كامل الصباح واصدقاؤه الاميركان الى مدينة «مالون» حيث تفقد طائرة اشتراها ليقوم بها برحلته الى البلاد العربية وفي عودته الى « سكنكتدي » كانت سيارة اصدقائه تسير في المقدمة ففقدوا اثره قرب مدينة « البنرابيثون » وعادوا ادراجهم فوجدوا سيارته خارجة عن الطريق الى منحدر يبلغ علوه خمسة عشر قدماً ووجدوه ميتاً فيها . وما ان اذيع النبأ المشؤم على العالم حتى عطلت مصانع الدنيا من اقصاها الى اقصاها من دقيقة الى خمس دقائق . وبعد ان نقل جثمان الفقيد الى ارض الوطن بعث والد الفقيد الى رئيس الشركة الكهربائية في « سكنكتدي » يطلب منه صورة مفصلة عن متروكات ولده واثاره فاجابه برسائل يختلف بعضها عن الآخر وهذه شذرات من آخر رسالة من الشركة وفيها اسماء الاختراعات للفقيد وتاريخ تسجيلها :

واذكر انك طلبت ان يطلعك المدير على ما يتعلق بتصفية متروكات ابنك . واخبرك انني تلقيت بياناً مفصلاً من المدير بعث الي معه بالوصولات حتى تاريخ البيان وبلائحة من اهمها الديون التي لا تزال غير مدفوعة والتي وقعت تحت نظره وتجد طيه نسخة من هذا البيان المبدئي الذي بعثه المدير وتلاحظ ان ما لأبنك حتى ٣١ آب سنة ١٩٣٥ يبلغ ١٧٧ دولار و ٥٤ سنتاً مقابل ديون مهمة يبلغ مجموعها ٣٣٩ دولاراً و ٣٠ سنتاً وان طلب جدمون البالغ ٣١٤ دولار و ٢٥ سنتاً هو لقاء السيارة التي كان يركب فيها كامل والتي تلفت تماماً في الحادث ، وتذكر انني في كتابي الاول الذي وصفت فيه الحادث شرحت لك ان مستر فوجل كان يركب سيارة كامل بينما كان كامل يركب سيارة المستر فوجل ونحن لا نستطيع في الوقت الحاضر ان نقول ان طلب المستر فوجل سيصدق .

وتلاحظ أيضاً من بيان المستر دودج ان مرتبات الادارة ومرتبات الادعاء العام لم تعين بعد .

وهناك مال باق لابنك لا يظهر ذكره في البيان وهو المبلغ الناتج عن معاش التقاعد الاضافي وقد اشرت الى ذلك في كتابي السابق . والمبلغ يناهز ٢٩٠ دولار ولكنه محجوز لقاء معاملة قام بها كامل قبل الحادث . ومعلوم انك انت صاحب الحق في المبلغ ولكن اذا انتهت النتيجة بترتب دين على كامل من المعاملة التي قام بها قبل الحادث فيرجع استعمال المبلغ في دفع المترتب . واني بناء على طلبك ، ارسل اليك جدولا بالاختراعات المسجلة باسم ابنك وآمل ان يكون في هذا الجدول لذة خاصة لك وللوطن الذي

نشأ فيه .

وارجو ان تلاحظ ان من الممكن ان تسجل باسمه اختراعات اخرى كان قد قدم طلباً بتسجيلها قبل وفاته . بيد ان الجدول المرسل تام حتى هذا التاريخ . ولا حق لابنك في مكافآت لان الاختراعات داخلة في منصبه الذي كان يدفع له مرتب مقابله .

وكل الاختراعات التي انجزها اصبحت ملك شركة الجنرال الكتريك بموجب الاتفاقية الموقعة من حين استخدامه وتجد طي الكتاب صورة فتوغرافية عن نسخة هذه الاتفاقية الاصلية .

اما فيما يتعلق بمركزه في الشركة فقد كان صنفه صنف مهندس كهربائي وقضى بضع سنيه الاولى في المختبر الهندسي العام . ثم نقل الى « فرع تنظيم القوى » حيث كان جل جهده مصروفاً الى الآلات المحولة للطاقة والى دراسة المطافات الكهربائية .

أما بشأن سؤالك عن معاش تقاعد لك فقد اجبتك في كتابي اليك المؤرخ في ٤ حزيران واعتقد انه لم يكن قد وصلك حين أرسلت الي كتابك هذا الذي احرر جوابه الآن . ويؤكد لي المستر دودج انه سيقدم تقريراً عاماً حال الانتهاء من تصفية التركة ويعد بانه سيقدم لشخصكم اشياء لها قيمتها العاطفية اكثر من قيمتها المالية منها لباس عربي وشهادة عضوية في الجمعية الاميركية للمهندسين الكهربائيين .

لك بأخلاص

ص . ج . مارس

الفرع الشخصي قسم الخدمة والتوظيف

تسجيل امتيازات باختراعات الصباح :

١٩٢٨ نقل الصور والمناظر
١٩٣٣ آلة اخراج المسافات
١٩٣٠ آلة البخار الكهربائي
١٩٣٠ نقل الصور والمناظر
١٩٢٩ » » »
١٩٣٠ آلة قياس الضغط
١٩٢٧ آلة تدقيق »
١٩٢٨ » قوس البخار الكهربائي
١٩٢٨ طريقة التصحيح
١٩٣٥ طريقة لتدقيق الحرارة
١٩٣٢ » اخراج الكهرباء
١٩٣٠ آلة تحويل القوة
١٩٣١ » » »
١٩٣١ » » »
١٩٣٣ » » »
١٩٣٢ دورة التحويل الكهربائي
١٩٣٤ » » »
١٩٣٣ آلة الصمام الكهربائي المحول
١٩٣٢ آلة تحويل القوة الكهربائية
١٩٣٥ » » »
١٩٣٣ آلة الصمام الكهربائي المحول

١٩٣٣ » تحويل القوة الكهربائية
١٩٣١ » » »
١٩٣٤ آلة الصمام الكهربائي المحول
١٩٣٤ » » »
١٩٣٤ » » »
١٩٣٥ مصحح الطريقة المركبة
١٩٣٣ طريقة منع عدم توازن مصحح الطريقة المركبة .
١٩٣٤ طريقة تحويل الصمام الكهربائي وآلة التهيج .
كامل صباح وهربرت برون
١٩٢٩ طريقة التوزيع
١٩٣٢ طريقة توزيع المساحات
١٩٢٩ الطرق الاصلاحية
١٩٣٢ المجرى الثابت المعبر عن الدوائر .
كامل صباح وس . هرسكيند
١٩٣٢ طريقة الاخراج الكهربائي .
كامل صباح و . ا . متياج
١٩٣٤ طريقة الصمام الكهربائي

كامل صباح ومرفن موراك	كامل صباح ولويس روبنسون
١٩٣٣ طريقة الصمام الكهربائي المحول .	١٩٢٨ طريقة البخار الكهربائي
١٩٣٤ طريقة الصمام الكهربائي المحول وآلة التهيج .	كامل صباح وشانسي هويتني قياس مصلح الفولتاج الكهربائي

وكانت الاختراعات التالية قد وصلت قبل وفاة الراحل العظيم من دائرة السجلات في وشنطن باسم ابن الصباح ..

طريقة بضبط القوة الصادرة من المقوم الكهربائي .

حوافظ وضوابط لحماية المقومات الكهربائية من الخطر .

طريقة لمنع حدوث هزات عالية في القوة الكهربائية في المقومات الزئبقية.

ملتقط حديث لمنع حدوث انفجار كهربائي منعكس محول للعزائم الكهربائية العظيمة .

جهاز للتلفزة يحول اشعة الشمس لنار وقوة كهربائية هائلة .

جهاز للتلفزة يستخدم الكهارب المنعكسة بفعل النور .

جهاز للتلفزة يستخدم النور كضابط للتيار الكهربائي .

ومما ذكره مدير الشركة اليكتريك في رسالته الى والد الفقيد النبذة التالية :

« لقد برهن الاستاذ كامل الصباح اثناء خدمته لشركتنا على انه من اعظم المفكرين الرياضيين في البلاد الاميركية وان وفاته تعد خسارة كبيرة لعالم الاختراع » .

وقد اعترف جهابذة علماء الفن الكهربائي الذين كانوا يلقبونه بأديسن الصغير بانه كان من اعظم المخترعين .

حسن الصباح الاديب المفكر

رأيه في الخمر والمرأة ولغة العرب

●

هذه[1] الصورة الموجزة لكامل الصباح المخترع اديسون الشرق كما سماه احد رجال الصناعة الاميركية لن ننسينا ان عبقرينا كان اديباً مفكراً من المولعين بالشعر والادب وله اراء قيمة في الحياة والاجتماع نشر بعضها في صحف المهجر ومجلاته ولم يزل بعضها مطوياً في رسائل له لم تنشر بعد ومعظمها بين يدي والديه وخاله وهي رسائل يدور اكثرها حول مسائل علمية وادبية كانت تساجله بها احياناً والدته ، وحيناً خاله ، وقد اتفق لي ان اطلعت على نتف منها فشاقني ان لا احرم قراء العربية منها ليقيني بأن اثار العباقرة الافذاذ جديرة بالحفظ والتسجيل . ومتى علمنا ان الغربيين يعنون بحفظ معاطف العظماء وملاعقهم والآنية التي تناولوا بها طعامهم والكرسي التي جلسوا عليها والكوخ الذي سكنوه واليراع الذي كتبوا به ادركنا انه من الغبن الفاضح ان لا نعني بآثار نابغتنا وتسجيل آرائه لندل على اهتمامنا برجالنا الافذاذ المياميين وتقديرنا لهم .

---

(١) نشر هذا الفصل في مجلة الطريق الغراء ٨ آب ١٩٤٤

بين يدي الآن بضع رسائل بخطه وتوقيعه تدل اولاها على رأيه في المخدرات والكحول رداً على سؤال وجهه اليه بعض اصدقائه ، وثانيتها في المرأة الشرقية والغربية وموقف الرجل منهما ورسائل اخرى . وهناك امر لا بد من الاشارة اليه هو ان الفقيد العظيم كان شديد التمسك بعروبته ولغته ، وكان شديد الايمان بالله، ومن أشد المحافظين على تأدية فروض الدين .

يقول كثير من اصدقائه الذين تحدثوا عنه بعد الوفاة على المنابر وفي الصحف بانه ما رؤي مرة وهو يجوب بسيارته شوارع نيويورك وواشنطن ، إلا وكان محتفظاً بزيه العربي يعتمر بالكوفية والعقال لا ينزعهما الا في مكتبه ومختبراته . وأما ايمانه بالله وبالدين فقد دل عليه الاستاذ كمال جبر ضومط في سلسلة مقالات جاء في إحداها « كنت في ضيافة النابغة العظيم وقد خطر لنا أن نتعشى عشاء عربياً فجعلنا من انفسنا طهاة وحضرنا الطعام ولما آذن العشاء قام لأداء فريضة الصلاة وكانت صلاته التي شاركته فيها « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الذي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ . »

وهاك رأيه في الخمرة « ... إن رأيي في تأثير الخمرة على الدماغ هو : « إن طريقة التفكير في الدماغ البشري ان يتجمّع في في المركز المختصّ بفكرةٍ ما ، كلّ ما صادفته سائر المراكز من التأثيرات فتكون النتيجة التي يستنتجها الفكر مطابقة لكل تلك

التأثرات ، والراجح عندها أن تكون صحيحة ، فـــاذا اعترض التأثرات المنبعثة من سائر المراكز مانع عن الوصول الى المركز المختص بتلك الفكرة فالنتيجة التي ينتهي اليها المفكر تكون على الغالب مناقضة لتجاربه السابقة ومطابقة لما يهواه ، أي ان رايه لن يكون مبنياً على ملاحظاته السابقة بل على مجرّد الهوى .

« أما إذا لم تصادف تلك التأثرات مانعاً فانها تصل الى المركز المختص المذكور آنفاً ، وترتسم أمـام العقل صوراً حقيقيّة تحول دون تصوّر المرء صورة مطابقة لهواه اذا كانت مخالفة لتلك الصورة الحقيقية ، وعليه يصعب على المرء ان يخدع نفسه بالاعتقاد بما يخالف حقيقة الحال ويطابق هوى النفس ...

« وقد ثبت أخيراً في مختبر « جونس هوبكنس » ان الكحول المكوّنة للمادة المكيّفة في المشروبات الروحية يُضعف مادة الخلايا التي تُوصل التأثرات من مركز إلى آخر فلا تستطيع إيصالها . وبما أن السرور الناشيء من تعاطي المخدّرات سواء كانت من الكحول أو من الحشيش أو من المورفين سببه أن المرء ينسى همومه ، ونسيان الهموم ناشيء عن قطع العلاقة بين مراكز الدماغ المفكّرة ، فتعاطي تلك المخدّرات يؤدّي الى قطع العلاقات بين خلايا الدماغ المفكرة ، وقطع العلاقة بين خلايا الدمـــاغ المفكرة يؤدي حتماً الى تغرير النفس ، وتغرير النفس يحول دون معرفة الأمور واكتشاف العلاقات الدقيقة بين الأشياء ، وعدم معرفة حقائق الامور ، والعلاقات بين الأشياء يؤدي إلى عمل ما يضر النفس والغير » .

وأما رأيه في المرأة الشرقية والغربية فقد جاء فيـــه : « نرى

الشاب في الشرق عندنا يسامح على أكبر المنكرات التي يرتكبها ، ويمكنه أن يقترن بابنة أشرف اسرة ، ويتغاضى عن معائبه اكبر حملة لواء الاخلاق ، وإن كان جسماً نخراً تسرّبت الى داخله انواع المفاسد والجراثيم المادية والخلقية ، على أن المرأة المسكينة إذا خرجت من فمها كلمة واحدة مخالفة للتقاليد وأكثرها (أي هذه التقاليد) ضرره أكثر من نفعه ، تسقط من اعتبار الغير ، ويحجم حتى جرثومة الفساد بين الشبان عن التزوّج بها ، وإذا كانت متزوجة يسمّيها زوجها بذات الأخلاق الفاسدة السافلة ويتأوّه من سوء حظه.

مسكينة المرأة الشرقية . السبب في ذلك هو أنها إذا لم تكن طبق مرغوب الشرقي المستبدّ لا يمكنها أن تعيش ، لأن معيشتها تتوقّف عليه وسعادتها تتوقف على وقوعها بين يديّ مفكر عادل خلوق ... تنسحق المرأة الشرقية تحت ظلم ذلك الانسان الظالم وكم نشاهد من البائسات اللائي يذهبن ضحية ذلك الظالم ، أو يحيين حياة ملؤها التعاسة والشقاء ...

« المرأة هنا (أي في اميركا) هي كل شيء . يعود الرجل من نهار عمل طويل الى البيت فلا يتحرج من مساعدة امرأته في كل شيء اذا لم يمكنه أن يستأجر لها خادمة . ولا يدعها تعمل أي عمل منهك . ومن أشد المنكرات عيباً أن يلقي اليها بكلام عنيف ، وضرب المرأه جرم ما فوقه جرم وعيب ما دونه عيب » .

« هذه خصلة أمجد الاميركان عليها لأن بها من كبر النفس وشرف العاطفة والنبل بقدر ما بالشرقي الذي يجعل امرأته أحطّ من خادمة ولا يفتر لسانه عن سلقها بكلام بذيء مبعثه اللؤم وصغر النفس

والتوحش فهل ألأم ممن يتذلّل امام القويّ ويستبدّ بالضعيف ؟.

« ما زلتُ أعتقد أنّ السبب في انسحاق المرأة الشرقية هو عدم تعليمها التعليم الكافي ، وأرى بأنّ كل رجل شرقيّ مهما كان منحطاً في المدارك يشعر بأن في تنوير أفكار المراة ما يجعلها تزيد شعوراً باستبداده . وما زال الحجاب على شدته (تاريخ الرسالة منذ اثنتي عشر سنة) والعدل في حقوق المرأة على قلة ، فان بنيان العائلة ليس على توازن ثابت ، ولا عجب أن يكون للتمدّن الحديث في هذا البنيان تأثير محسوس .

« إنّ تغيير المؤثرات على مجتمع يستلزم حدوث اختلال في التوازن واضطراب في الأجزاء ، ولكن لا بدّ للمؤثرات المستحدثة من أن تضع تلك الهيئات تحت توازن ثابت في النهاية ، أي ان القوى المختلفة بعد أن تتصادم وتسحق في سبيلها من تسحق ، وينتهي امرها الى توازن وتعادل متينين .

« ومما يعجبني من أمر هذه البلاد وهذا الشعب شدّة ارتباط أجزائه بعضها ببعض . تنتشر فكرة في نيويورك وبعد بضعة أيام تصبح مألوفة في سان فرنسيسكو . يشعر جزء مفكر في تلك الهيئة بضرر بعض العادات فيقود البقية ولا يمضي وقت طويل إلا وقد أصبح أمام الضرر قوّة مقاومة .

« لا يُنكر بأنّ بعض النساء هنا تركن العادات الشريفة وتشبّهن بالمستهجنات التي كثيراً ما أدّت وتؤدّي الى المنكر ، ولكن شدّة ارتباط هذا الجسم الكبير يجعل بعضه يشعر بهفوة البعض الآخر ويقوم لاصلاحها » .

ثم يخلص حسن الصبّاح الى القول مجيباً على ملاحظة وجّهها اليه بعض أصحابه « اودّ أن اذكر كلمة هنا عن العجب ، فتشت في صفحات نفسي فوجدت أثراً له ، وهو أني أجتنب وأتحاشى مجاملة من أعتقد سقوطهم. وأظن أن العجب صفة من ينظرون الى الأسفل على أني ما زلتُ أنظر الى الأعلى وما زلتُ أرى نفسي في الاسفل».

ويذكر في رسالة بعث بها الى صديقه الدكتور مصطفى خالدي لمحة مجملة عن طفولته وبدء دراسته وميوله وتغلغل نزعته القومية في جوانب نفسه : « كانت امي وشقيقاتي مولعات بآداب العرب وأشعارهم ، وكان خالي الشيخ احمد رضا كثير الاهتمام بدرس الحقائق الكونية طبيعية كانت أم اجتماعية روحية أم دينية . فأصبحت أنا بحكم الطبع أنظر الى آداب العرب وعلومهم نظر طموح وأمل . وكان ذلك مبدأ عربيتي الشديدة وطموحي العلمي، ومازلتُ أذكر النصف الأخير من ليالي رمضان حين كانت امي تجلس في فناء الدار وتحدثني بأمجاد العرب وأنا أردّد أبيات أبي العلاء وأبحث عن النجوم التي ذكرها في قصائده وأشير اليها . هكذا بدأ هيامي بدرس الكون وحقائقه » .

صور مقتضبة عن شخصية عربية فذّة عملت مبدعة في الفكر والتيار الكهربائي ، فكانت في الجيل العالمي مثلاً يُضرب لعبقريتنا.

لقد أكلت الشركات الاميركية جهوده ، وحرمت منها آله وأبناء وطنه .

وليست هي المرة الاولى التي يأكل فيها الغرب الجاحد عبقرية الشرق المؤمن . وكتاب الاستثمار الغربي أوسع من جنبات الارض.

بين التهنئة والرثاء

●

في ذكرى صديقي الياس مسابكي صاحب الفندق المشهور ، الذي غمرني أعواماً بحبه واخلاصه وتشجيعه . ففرحت في فرحة زواجه وبكيت في ساعة غيابه البعيد .

●

كتبتُ اليه يوم زواجه :

فيا صديقي [1] العزيز اليك أرفع عواطفي مجسّمة بهذه الكلمة لأهنئك بهذا القران الحميد بآنسة يخفرها الحياء ويرفع رأسها شرف الأرومة .

أما أنت يا من سمتْ اسرته به وتاهت عجباً وهتفت من أعماقها: « الياس منا ! »

فلقد حُقّ لها هذا الهتاف لأنها ضمّت الرجل الذي ملأت صدره المكرُمات وزان أخلاقه النبل ومشت في خلائقه الرقة ! هذا الرجل الذي قضى سنّ الشباب بالهدوء والسكينة لا يميل حيث تميل العاطفة الملتهبة . كان في ذلك الحين كأنه يطرح عن نفسه ثوباً بعد

---

(١) نشرت هذه الكلمة في مجلة الامالي تاريخ ١١ ايلول سنة ١٩٣٩

ثوب ليبقى له ثوب المحبة والاخلاص .

وها هو - يودّع عهد العزوبة - طاهراً نقياً كما يستقبل عهد الزواج طاهراً نقياً .

وسيفتخر به وبأمانته عهد الزواج ، كما افتخر عهد العزوبة .

عش هنا محسوداً كما كنت هناك محسوداً .

●

وكتبتُ فيه يوم موته :

قدمت مجلة « الجمهور » لصاحبها الاستاذ ميشال ابو شهلا في آذار ١٩٦٢ هذه الكلمة بما يلي :

« هذه الكلمة الصادرة من أعماق قلب حساس مخلص هي للسيد محمد قره علي وهو شاب ذكيّ الفؤاد ، كثير الوفاء ، نشأ يافعاً للصحف وعاش معظم أيامه في شتوره قريباً من المرحوم الياس مسابكي صاحب فندق شتوره الشهير ، ورجل الهمة والولاء والاحسان والخلق النبيل . والسيد قره علي شاب موهوب ولعل من أبرز مزاياه هذا الوفاء الذي يتجلى في كلمته عن المرحوم المسابكي اعترافاً بما له عليه من صنائع المعروف وتقديراً لما عرف فيه عن كثب من محاسن الخلق النادرة بين الناس » .

***

« انعي فتى الجود الى الجود ما مثل من انعي بموجود
انعي فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود
وانثلم المجد به ثلمة جانبها ليس بمسدود
فالان تخشى عثرات الندى وصولة البخل على الجود »

والله لولا انها امانة في عنقي ان اعترف بفضلك علي واحسانك الي لكسرت هذا القلم قبل ان يكتب هذه الكلمة ليجعلك في عداد الاموات او يعود فينعاك الى اخوانك ومحبيك على كثرتهم ولكن هيهات هيهات ان تذهب حسرتك او يتعزى من عرفك عنك بغيرك ، وكنت لايام خلت دولة من اللطف والرقة والشرف والمروءة ، والصدق والوفاء ، وفي مثل لمح البصر يسكت ذلك القلب الكبير الذي ما انطوى الا على مكرمة ولا تفتح الا على جود وسخاء .

وفي مثل لمح البصر تذوي الزهرة التي عبق اريجها وطاب ريحها ويسكت ذلك اللسان الممراح وتنطفيء تلك الابتسامة التي ما غارت في وجهك لحظة واحدة .

*

اي ، والله ، في مثل ردة الطرف تركنا الياس مسابكي وذهب الى ربه ، فيا من كان لي الامل الدائم ، والنعيم المقيم ، كيف تطيب لي الدنيا من بعدك وهي كما عرفناها ما ندر فيها الا الاصدقاء الاوفياء والاسخياء الكرماء ، كنت مفزعي في كل نازلة تلم بي وكنت لي خير عزاء ، ان فجيعتي فيك فجيعة الجسد فارقته الروح ، والزهرة جفت منها الحياة والكوكب خبا نوره والطير الشادي فقدته الرياض والاجسام فارقتها الصحة وباعدها الامان .

الله ، الله ، كيف عدا عليك الزمان وعصف بهيكلك الموت وعض عليك باسنانه الصفراء ، وقد كنت مفخرة من المفاخر وكانت قامتك مظهراً من مظاهر الرجولة في البر والاحسان فكم عين جاءتك

شاكية باكية فكفكفت دمعها بجودك حتى عادت والامل مل. انسانيها ، وكم عليل عدته في تلك الجوار تحمل له اللفائف والعقاقير وما تيسر من المال فابللته باحسانك اليه وانعامك عليه .

لقـــد كنت من الشاعر خياله ووحيه ، ومن الاديب فكره ولغته ، ومن الزائر اعجابه وافتتانه ، لو اردت ان اثبت ما نظم فيك الشاعر وكتب الكاتب وحدث الزائر لما وفيتك حقك مدى عمري الذي ان تمنيت ان يطول فغايتي والله ان اتحـــدث عنك واعترف بفضلك ثم اخرج للناس كتـــابا يجمع القليل القليل من الكثير الكثير الذي قيل عنك في الشرق والغرب .

*

واقسم بالله اني ما عجبت لشيء عجبي ان ابقى حيا من بعـدك ولو الى هذا الحين .

ماذا كان في صدرك من ذخائر المكرمات وفي نفسك من صفاء وولاء ، وفي روحك من هناء ورجاء ، وفي ذهنك من حدة وذكاء ، حتى استطعت ان تأسر هذه القلوب وتجعلها لا تقبل التعزية بك ولا يذكر اسمك امامها الا وقد شعرت ان الارض من تحتها قـــد زلزل زلزالها .

كم انا فخور ان اتغنى بمدحك واهتف باسمك في كل واد وابشر به في كل ناد .

*

انا اقسم لو ان الصفصاف الذي كان يظلك والنبع الذي ينساب حول بيتك والاطيار التي كانت تحوم فوق رأسك بل والطبيعة التي

كنت ترتع بظلها ، كل هذه لو كان لها احساس تشعر به بفراقك لتساقطت الاوراق وجف النبع وانتحر الطير وسكنت الطبيعة الى الابد ، ولكن حسبك ان لك في هذه الدنيا قلوباً جرحها عليك لا يندمل ومآقي تتلظى دائماً تلفظ من اهدابها الماء الاخير .

*

فياولي النعمة ما احسب ان شاعراً صدق بقوله الا من قال و كأنه عناك .

فما كان مفراحاً اذا الخير مسه ولا كان منانا اذا هو انعما

لعمرك ما وارى التراب فعاله ولكنه وارى ثيابا واعظما

وحسبك ان يبكيك لبنان عندما يذكر واحة شتورة وقد بعثتها من العدم وجعلتها جنة فيها من كل الثمرات وآية للناظرين .

فيا الياس سبحان من اراحك واتعبنا ، واقامك واقعدنا ، ورفعك من دنيا الى علیا ، ومن تراب الى نور ، ومن قلوب وعيون الى اوطان تلفت وشوق .

فليكس فارس يعود هيكلا صامتاً

●

يعود فليكس فارس [1] الى لبنان هيكلاً صامتاً ، وقد كان للأمس القريب النور الوضّاء والشعلة الملتهبة بالعلم والذكاء، والصوت الداوي في كل قطر بأدبه الحيّ وتفكيره العميق الخصب .

فليكس فارس ، صرخة ملهبة لشعور الامة في سبيل التحرّر وعامل نبيل على توحيد الثقافة وتوجيه الآراء والأهداف في صعيد واحد بين أبناء الجيل .

فليكس فارس امير المنابر وخطيب الدستور ورسول الامة الى ابنائها المهاجرين عام ١٩٢١ يعود « للمريجات » حفنة من تراب؟

فليكس فارس منشيء جريدة « لسان الاتحاد » والمحامي الفذ بجرأته واخلاصه وسكرتير المجلس البلدي في الاسكندرية ورئيس غرفة الترجمة فيها ومؤلف عشرات الكتب القيمة ينتزعه الموت من بيننا ولما نرتو من معين ينبوعه . وقد كان مدرسة دون أن يحمل شهادات المدرّسين .

فليكس فارس الذي كان يروي « سمعت أحد اللبنانيين يقول

---

(١) نُشرت في مجلة « الامالي » الغراء سنة ١٩٣٨.

معتزاً أن لبنان قد بلغ درجة من الرقي يجب عليه وهو عليها أن يدير ظهره نهائياً لآسية ويتجه شطر اوروبة فقلت له : إن الله قد أوجد لبنان العربي مستقبلاً لشمس الشرق فان هو أشاح بوجهه عنها امتنع عليه أن يكون رأساً في الشرق إذ يصبح ذنباً للجهة التي يستقبلها .

فليكس فارس الذي بكى الكاظمي الشاعر العربي الكبير بقوله:

ألا ايها النشء الجديد ليعرب ... لك العلم الخفاق في الشرق يُعقد
وما الشرق لولا ما ورثنا ثقافة ... سوى طلل يهوي وبرج يهدد
ثقافتنا من عهد موسى لأحمد ... معارج أرواح الى الله تصعد
ألا ان سطراً انزلت فيه آية ... تبدّد اوهام الحياة وتسعد
لخير لنا من بعلبك وتدمر ... ومن قمم الاهرام للنجم تنهد
وما هي إلا آي ظلم وذلة ... منازلها في صفحة الدهر جامد
وهل كان قبل الوحي إلا غطارس ... وحشد تناديه السياط فيسجد
ليركع لآمون وباعال من يشا ... فقد ماتت الارباب تطغي وتحقد
هيا كلها كانت أشدّ على البقا ... ألا اعجب لمعبود يواريه معبد
فما زهو فرعون وفينيقيا ولا ... حضارات أقوام خلوا وتبددوا
لتسطو بتفريق على وحدة إذا ... نفاها فريق كان لله يجحد

*

إن هذه الكلمة التي اكتبها بدموعي المتفجرة من اعماق نفسي وبأناملي المرتعشة اسفاً وحزناً عليك ولوعة على الايام والساعات التي كنت تتعهدني في خلالها بدروسك البليغة وحِكَمِك الغالية إذ تلقيها علي بحنان وعطف ورقة انسيتني معها حنان الاهل وحبّ

الاحباب ...

*

ما اذكر اني لقيته مرة على كثره اللقيا ، او اجتمعت اليه في خلال السنوات الاخيرة إلا ورأيته ضيق الصدر متبرماً بالحياة يبادرني بالسؤال كيف انت يا صديقي ؟ ثم يقول أما أنا فبي ألم وسأذهب الى الضهور وبكفيا او زحله لأشفي النفس من اوصابها وحين يلحظ ما يحز على نفسي من وقع كلماته كان يربت على كتفي ويقول :

هوّن عليك يا بنيّ انها مراحل شقاء نجتازها وعما قريب نصل الى الهدوء والراحة .

ان كتابك الاخير الذي تقول لي فيه « اصافحك والى اللقاء فهل عنيت به هذا اللقاء يشهد الله انه .

« لم يبق من بدني جزء علمت به الا وقد حله جزء من الحزن »

لقد بكيتك يا سيدي كما يبكي الولد والده والأخ اخاه والحبيب حبيبه وسأبكيك مابقي في قرارة نفسي دم ودمع ، لقد كنت من جسمي القلب ومن عيني النور ومن فمي اللسان وغدوت الحرقة في الجسم . والدمعة في العين . والسكوت العميق في فمي .

سيطول جزعي عليك وستطول غصتي العميقة .

وديع عسيران
لم يمتع بالشباب(١)

•

آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولّى

هكذا قال المتنبي عن الحياة ، ولو عاصرنا ابو الطيب وعرف فقيدنا العزيز وديع عسيران ورآه بقامته المديدة وامتلاء هيكله ثم عرف كيف عاجله القدر حيث لم تنفع العافية ولم يجد الشباب لكسر المتنبي هذه الآلة وفك روابطها المكينة .

*

كان وديع عسيران صورة الشباب الطريّ والمروءة الفذة ، واللسان المهذب والادب الجم والوطنية الصحيحة ، كل هذه الصفات وغيرها تعطل في مثل ردة الطرف وتسكت ولكن ... الى الابد .

*

وديع عسيران القاضي النزيه والانسان الداعي الى الخير والفضيلة ، الرجل الذي لم ينغمس في حزبية ولم يصانع احداً ، يعاجله الردى وعيوننا لما تزل تشخص اليه وقلوبنا تتلفت نحو اتجاهه ، وآذاننا تصغي لتتلقف ما يفوه به من كلام لا مماألأة فيه ولا رياء .

وكان لايام خلت طفاح السمع والبصر يفخر به شباب العرب ،

١) نشرت في النضال الغراء لصاحبها الاستاذ مصطفى المقدم سنة ١٩٦٤ .

يعدو عليه الزمن ويعضه دونما اشفاق فينطفيء كما يطفأ المصباح في الليالي العاصفة حيث يفتش المرء عن خطوط الطريق .

وديع عسيران ، القلب الذي ما تفتح الا على جود وسخاء والثغر الذي لم يضحك هازئاً ولم يذكر احداً بسوء ولم تخرج منه كلمة معسولة وراءها الخبث والرياء . يتخطفه الموت من بيننا ونحن احوج ما نكون اليه .

*

ايه جبل عامل اكلما سطع وضاء في ذراك لينير لك الطريق ويلهمك معنى النور انطفأ وعاجله الفناء كأنما كتب عليك ان لا تشهد في ربوعك من يعمل فيك مجاهداً من اجل انسانيتك المعذبة ليجعل منك قمة كأعلى القمم مشمخرة بعلاها وهدي دروبها الى ابراج القبة ، حقاً لقد رأيته يوم ارتفع جثمانه على مناكب رجاله وشبابه كيف كانوا يغصون اسفاً وتلهفاً ولقد رأيتهم وكيف كانوا مسوقين جميعهم بدافع واحد هو دافع الوفاء لك والاجلال لشخصك والمعيتك مقدرين الخسارة التي لا تعوض .

*

لقد كان كل من عرفك يرى نفسه ثاكلا مفجوعاً . وكما تساوت المناكب والرؤوس وراء نعشك هكذا تساوت اللوعة وتضرمت الحرقة ، لقد كان الناس يبكون الرجولة في الشباب الذي هيهات:

هيهات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لضنين

رحم الله وديعاً :

فقد كان رحمة بين هؤلاء الناس ،

قد كنت رأياً
في الشيوخ وحكمة

•

في رثاء محمد جابر آل صفا من
رجال الادب والنهضة في جبل عامل

سكت الهزار عن الغناء وصوحت ... في الرابيات خمائل الأزهار
وتوقف العبق الندي عن السرى ... فوددت لو اني نسيم ساري
لأمر بالجدث المضمخ بالمنى ... بالورد بالاطياب بالاشعار
بنوافح الأخلاق من دنيا الألى ... سكتوا وهم انشودة الأدهار
« بابي فؤاد » ابي واي اخوّة ... في النفس اقوى من اخاء جوار
من آل جابر ما عرفت بقربهم ... الا «الرشيد[1]» ووجهك المتواري
من امة سكب الوفاء عبيرها ... في بلدة شمخت على الأمصار
بلد « بكامله[2] » يدل على الضحى ... ويموج لألاء على الاسحار

***

حبرت في «العرفان[3]» كل مقالة ... غراء انقى من لسان النار

---

(١) هو الصديق الصدوق السيد رشيد حيدر جابر

(٢) النابغة المرحوم كامل الصباح المخترع

(٣) مجلة « العرفان » القومية الغراء

مثل الشفار لها بريف جمالهـــا لكن اذا انقلبت رمت بشرار
ايام تهتف في البـلاد مردداً الاهل اهـلي والديار دياري
ايام كان الوغد مزهو الرؤى والظلم يعصف كالحمام الضاري

***

كم من لئيم مذ رآك تجهمت قسماتـه فحبوته بغفـــار
حسب اللئيم من الوجود حياته ملأى بكل نقيصة وصغـار
وسنى الصباح بنـاظريه سحابة سوداء تعصب رأسه بالعـــار

***

« تاريخ عامل[1] » يوم ان سجلته سجلت كل فضيلة وفخـــار
وتركت للأجيال بعدك صورة هيهات تمحوها يد الاقـــدار
قد كنت رأياً في الشيوخ وحكمة ولدى الشباب عقيدة الاحرار
وعلى ذرى الاغصان لحناً مؤنساً يهفو اليه مغرد الاطيـــار
ان الحياة اذا أمطت لثامها ألفيتهـا جدثاً لجسم عـار
بل دمعـــة حرى بوجنة بائسٍ وانـين مشتاق ونوح هزار

***

يارب يوم كنت فيـه مجاهداً وشعارك قومك فوق كل شعار
وعلى جبينك فوق ماحمل الضحى من مأمل ونقـاوة ووقار

---

(١) مؤلف للفقيد لم يطبع بعد .

في ذكرى الشاعر الياس الفران

•

القيت هذه الكلمة في حفلة الذكرى التي اقامتها جمعية امارة الزجل في لبنان لامير الشعراء الزجلي في زمانه الياس فران لمناسبة مرور ٢٥ سنة على وفاته وذلك في ١٧ اذار ١٩٤٦ وتكلم في الحفلة السادة الاساتذة وليم صعب، يوسف الفندور المعلوف . جبيج تقي الدين . الشيخ عبد الله العلايلي . صلاح الاسير . الشيخ بديع المنذر . اميل لحلود . وكثير من شعراء الزجل .

اما ان الياس الفران شاعر موهوب[1] فهذا ما لا ريب فيه ، فنحن اذا نظرنا اليه على انه شاعر شعبي مطبوع تنطبق عليه القواعد المعروفة والمقاييس التي لا لبس فيها ولا غموض الفيناه انساناً تخضرم في نهاية جيل وبداية جيل آخر كان في كليهما شاعراً شعبياً حقاً فيما عرضه لمعاصريه وفيما خلفه لنا من صور واضحة في لفظه وضوحها في معناه ، واذا نحن حاولنا في هذه الكلمة المتواضعة ان نوضح نفسية شاعرنا الشعبي او نعود الان لدرس آثاره وابرازها اذ

---

(١) نشرت في مجلة العرفان الغراء وفي مجلة امير الزجل الشعبية .

هي كما تعلمون واضحة ابداً ومروية على كل لسان . فاذا حاولنا ذلك رأيناه يعود ليتوارى من جديد وراء حجب ممعنة في التستر والخفاء لانه قال كلمته وانتهى ... قالها في الوطنية فكانت جمرة لاهبة،لايزال وميضها يتألق في دنيا الوطنية الصحيحة . وقالها في الرثاء فسالت ادمعاً تشوي الوجوه ، وقالها في التغيظ فاوشك ان يبطن القبة الزرقاء بدخان غيظه . ثم تلاهـــا في مواسم الافراح فكانت زغردة النساء،وحداء الرجال،ومناغاة الاطفال،وعبير الزهر، وزقزقة العصفور، وأنات الجداول ، في مروج الارض وسفوحها ، لقد صوّر لنا الاقطاعية فاذا هي سياط « خوفو » تسوق الالوف من الناس كالقطعان الى حقول الاقطاعية وقصورها ، ثم عرض لنا الرجال واحداً واحداً فاذا هم الشرف والمروءة والصدق والوفاء ، ووصف لنا المرأة يومئذ فاذا الخفر ، والحياء ، والطهارة ، هالات وايمان ، واناشيد ! لقد كان شاعرنا الزجلي صورة مثلى لحمامة الزاجل وبعد اذا كانت هذه الكلمة تعتبر كلمة جبل عامل الذي قدم نصيبه في هذا المضمار في ذلك العهد ، ولا يزال يطالعنا كل يوم بزجال كما يطالعنا الجانب الثاني من ارض لبنان فان جبل عامل لايزال يروي باعجاب واكبار ايات الفران مكبراً فيهـــا الروح العربي الوثاب والنزعة الاستقلالية الحرة . ولا بد من الاشارة ايها الســادة الى القربى المتشابكة بين الزجل العامي والفصيح اذ ثبت ان الزجل هو الباب الذي يلجه الانسان الى مدينة الفصحى ... واليكم مثلاً على ذلك الشاعر العربي الكبير الياس فرحات الذي غادر لبنان في اوائـل الانتداب زجالا من الطراز الاول فاستمع اليه يقول

من قصيدة زجلية بعث بها من عرض البحر المتوسط الى صديقه امين ايوب :

يا امين الدهر فرقنا وبسهامو البين خرقنا
من بعد ما كنا نصيد سباع قصر عن العصفور خردقنا

وهو القائل فيما بعد :

لاتخدعنك اصوات يكبرها بوق الغريب لغدر بالوفاء طلي
ان العروبة في لبنان سائدة من اخمص البحر حتى مفرق الجبل
ان كان يسمع فيه همس فرنجة بيض الصوارم لاتخلو من الفلل
لسنا نجادل عمياً يطلبون على ضوء النهار دليلاً والنهار جلي
او يلصقون بأحساب تباعدهم عن اقرب الناس ارضاء لذي دخل
او يجعلون من الاسلام داهية دهماء تبتر مارونا بسيف علي
او ينحتون كهوفاً من تعصبهم للعقل يقبع فيها غير منتقل
بل نرفع الحق مشعالا ليقصده عشاق غرته من اقوم السبل
فلينظر الناس هل من امة فعلت للمجد فعل رعاة الشاء والابل
الناقشين على الاسياف آيته والشارحين معانيها على القلل
من يلقهم ونيوب الحرب دامية يلق الضراغم في غاب من الاسل
ومن يلذ بحماهم حين يطلبه ريب المنون ينل عهداً من الاجل
العرب واثبة يا شمس فانطفئي والعرب زاحفة يا ارض فاشتعلي
في مسمع الدهر اصداء محدثة عن عاصف بصهيل الخيل متصل

***

هذه صورة واحدة لشاعر واحد يمثل فيها التقاء النوعين من الشعر الزجلي والفصيح في شعور واحد وعاطفة واحدة ، وربما قال

قائلكم لمَ لم يعرض لنا طائفة من شعر المحتفى بذكراه فاجيب بأن استشهادي بالشاعر فرحات هو من وحي شاعرنا الفران وان الاساتذة الذين تقدموني والذين سيلونني لا احسبهم تركوا لقلمي العاجز ان يختار من شعر الفران ما هو جديد على سمعكم واخيراً لكأني بروح الشاعر تصفق لكم باعجاب منتشية بتحقيق ما صبت اليه في حياتها من اتحادكم واستقلالكم المجيدين .

حبيب اسطفان رفيق فيصل وامير المنابر

●

نعت[1] الانبـاء من سان دومينيكو الاديب العربي الكبير الدكتور حبيب اسطفان ، رفيق فيصل في دمشق وامير المنابر في اميركا الجنوبية ،

رافق الاب اسطفان في ثوبه الكهنوتي فيصلاً طيـــلة ايامه في سوريا حتى اذا ماغادرها عاد الاب اسطفان الى بيروت يخطب باسم العروبة باسم القومية والالفة فاذا بالرجعيين عشاق الاستعمار يهتفون بوجهه في الحفلات وينعتونه بيهوذا اللعين ؟ ..

وادرك الوطني المجاهد ما حل بشعبه فخلع ثوب الكهنوت ، واستبدل باسمه اسم يوسف نجيب ، ثم هاجر الى اسبانيا ومنها الى البرتغال . وكان يتقن بضع لغات ، وما هي الا اشهر حتى أصبح خطيباً في البرتغالية والاسبانية يدهش الناس ، وقد طاف بربوع اميركا الجنوبية من اقصاها الى اقصاها ، وبلغ البرازيل حيث القى عصا ترحاله ، ووقف نفسه للعروبة والعربية ، يخطب ويكتب ويتكلم باثنتين واربعين لغة . وكان يحمل على صدره مئة واربعة اوسمة من جميع بلدان الدنيا ... الا من لبنان ! لأنه كان في الجهاد وساماً لوطنه .

---

(١) نشرت في جريدة الحياة الغراء ٤ - ٥ - ٤٦

نحن نؤمن بالحياة

•

قيلت في اسبوع فقيد الشباب والوطن المرحوم سعيد علي جابر وقد تليت عدة قصائد وخطب كان اكثرها من الشعر المتجدد العالي وبعض النثر من الادب الرفيع . « العرفان »

نحن [٢] نؤمن بالحياة ونقدس افاعيلها ولعل هذا الايمان وهذا التقديس يساوران كل نفس ويخامران كل كائن ، فاشياء كثيرة تبتعث اسانا ... الزهرة حين يمشي فيها الذبول .

والصحة اذ تميل الى التقلص . والشباب اذ تتخطفه ايدي الهرم .. والموت اذ يقع سواء فيه الحي على درجاته .

ولكن لم كان هذا الايمان وهذا التقديس . لأن الحقيقة كما اظن وكما يظن كل اولئك الذين يفكرون تفكيراً وجودياً هي ظاهرة من ظواهر الحركة ، الحركة التي تخلق ، الحركة التي تنضر ، الحركة التي تبني ، الحركة التي تصحح ، فنحن ابداً نتوق الى الحرية ونقدسها لأن الحرية حركة منطلقة والعبودية خمود ذاو ،

---

(٢) نشرت في مجلة العرفان الغراء شهر شباط ٩٤٧ .

ونتوق الى الاصلاح لأنه حركة ، والفساد خمود ، ونتوق الى الامل لأنه حركة واليأس خمود واحتضار .

بهذا المقياس، بمقياس الحركة وحدها نحن نقيس الاشياء ونعطيها قيمتها فكل وطني منا هو في تيار حركة الوطن وفي وجهتها الصاعدة فأي وطني كان اكثر ذهاباً في مدى هذه الحركة وأصلب عوداً في تحمل اعبائها واكثر امانة في احتضانها كان ابلغ قدراً وأرفع مكانة ومنزلة .

هذا المقياس الذي اذا حلمناه جيداً واستعملناه استعمالا جيداً تصححت لدينا القيم .

ان فقيدنا بهذا المقياس ، مقياس الحركة العاملة مقياس الحركة المصححة يجيء في مقدمة شبابنا الذي يؤسفنا احتجابهم ويبكينا فقدانهم .

كان لا يفتأ عاملا في سبيل الخير الوطني والصالح الشعبي، دون ما حساب لعاملينا في غير وجه هذا الخير ووجه هذا الصلاح .

لقد جاهد يوم لم يكن هنالك من احزاب ولا جمعيات ، فمنذ عام ١٩٣٦ حتى اللحظات التي انطفأت فيها شعلة شبابه وهو يعمل مخلصاً ويجاهد مخلصاً بين اترابه هنا وهناك .

وعلى ان منهم من نكص على وطنه وعلى ان منهم من نكث عهده ، فسعيد لم ينكص ولم ينكث بل ظل تلك الشعلة اللاهبة في صدور اخوانه الشباب العاملي شعلة طالما انارت الطريق للكثيرين ممن ضلوا وتاهوا .

انه لم يكن شاعراً ولا خطيباً ولا كاتباً ، ولكنه كان خيال

الشاعر، وقلب الخطيب، ووحي الكاتب، ففيه تجسدت معاني الجمال والخير والاقدام .

*

ايها السادة .

كلكم يعرف ان سعيداً لم يستثمر وطنيته ولم يبع اخلاصه في سوق الزعامات بل حافظ على سمعتـــه وظل يفتح ابواب صدره وقلبه لاخوانه على السواء .

لان قلبه الذي حمل بين دفتيه حب الخير والجمـال والحق أبى عليه ان يتبرم او ان يضيق بأحد الى ان ضاق ذلك القلب بغـلافه وسكت عن لحنه يحركنا بسكوته كما كان يحركنا بخفقانه .

«اذامادعى الداعي سعيداً وجدتني اراع كما راع العجـول مهيب
فكم من سمي ليس مثل سميه وان كان يدعى باسمه فيجيب »

الشاعر ابو الفضل الوليد

ابو الفضل الوليد [1] شاعر اديب غنى العروبة والعربية ردحاً من الزمن متنقلاً في ذرى الأدب من دوحة الى دوحة في الشرق والغرب، ولقد كان في كل تنقلاته ذلك الوفي الامين لامته وبلاده، حتى طواه القدر في غضون الحرب الاخيرة في مدينة بيروت على شرفة فندق من فنادقها وقد جلس يطالع كتاباً . هناك سكت فجأة ذلك القلب الكبير، وبعد بزوغ الشمس كان يرقد في مثواه الاخير في بلدته « قرنة الحمراء » .

---

١) نشرت في مجلة « المعهد » الغراء في شباط ١٩٤٧ لصاحبها الاستاذ السيد جعفر شرف الدين .

ويمر الوقت دون ما كلمة يقولها فيه اديب او قصيدة يرثيه بها شاعر وهو الذي رثى الامة بكاملها .. اللهم الا اشارات تعلن موته في بعض الصحف ! .

ولعلي في هذه المحاولة الخاطفة أوفق لأن اتحدث عن هذا الرجل الذي نال في دنياه من الاذى والنكران ما يزلزل العقيدة لكنه والحمد لله لم يزلزل عقيدة « ابي الفضل » ! لقد كفروه واحالوه الى جهنم قبل الموت ! ثم رموه بتهم واراجيف ... لأنه كان عربياً في قلبه ولسانه ويده وقلمه ! في وقت خمد فيه كل نفس عربي اللهم الا لدى نفر قليل كريم في دنيا المهاجر .

عرفت ابا الفضل سنة ١٩٣٦ وما اسرع ان بدأت اسمع تنهداته وزفراته و كيف كان يتمنى على الله ان يمد له العمر الى يوم يلمح فيه امته وبلاده تتمتع بالحرية والكرامة . تفيد خيراتها، وتمارس سيادتها، وترفع علمها حراً يطاول السماء، وتعيد لغته سابق مجدها وتراثها ... ولكن القدر يعاجله قبل ان يرى تحقيق ما كان يصبو اليه .

ثم تقسو عليه الحياة بعد الموت فلا تحقق له امنيته التي تعتبر وصية له بعد الموت فاسمعه يقول : « ما كان التهاب قلبي الا من اضطراب نفسي واضطرام فكري .. فالفضل في الهامي لروح العروبة التي لاحت لي من ورائها روح علبين .. اني أموت كما عشت عربياً آملاً مشوقاً واود ان تضم جثماني تربة دمشق الطيبة . هناك تهيم روحي .. في البادية وتنشق نفحاتها الطاهرة وتطرب لهدير بردى . تلك رقدة اشتهيها واعلل نفسي بها واراها خير مكافأة لي اذا كنت مستحقاً .

ويقول في سياق حديث له عن الامـــة العربية في كتابه « نفخات الصور » الحمد لله الذي شرف العرب ، واخرج من خير امة خير رسول وبسط لها في الارض سلطاناً لا يزول، ونشر لسانها وهو لسان الملأ الاعلى . فكان لها من منثوره ومنظومه كل علق أغلى به اكتب لنفعها ومجدها . وما كنت إلا الوفي بعهدها . واني من أبر البنين لأم الأبطال « والشهيدين » وهي الأم الـــتي تفدى وتستحق أفضل ما يهدى . وهذا خط يميني يثبت إيماني ويقيني. »

ابو الفضل الوليد هو الياس ابن عبدالله بن الياس بن فرح بن طعمه لبناني من « قرنة الحمراء » ولد في آب ١٨٨٩ بدأ علومه في السنة السادسة في بلدته . وفي سنة ١٨٩٩ التحق بمدرسة عينطورة حيث أتقن فيها العربية والفرنسية في خلال ثلاث سنوات . ثم انتقل إلى مدرسة الحكمة في بيروت عام ١٩٠٣ وفي اواخر سنة ١٩٠٦ كان قد فرغ من تأليف ثلاث روايات ، وكلها ذات خمسة فصول وهي « أسرار بغداد » « نكبة البرامكة » « حمد وولاده » ثم ترجم بعد ذلك إلى العربية شعراً « البحيرة للامرتين » « والليالي لألفريد دي موسيه » وقسماً من القصة الالهية « لدنتي » و« آخر بني سراج » شعراً ونثراً « لشاتوبريان » وثلاث روايات تمثيليـة لالفرد دموسه هي « أحلام العذارى » « الحب آخره قتل » « بعثناه خاطبـــاً فتزوج » ونظم شعراً « نشيد الأناشيد لسليمان » وفي سنة ١٩٠٨ ابحر من بيروت سائحاً الى مصر وايطاليا وفرنسا واسبانيا والبرتغال حتى إذا وصل الى الارجنتين القى عصاه، ثم تركهـــا الى البرازيل فمكث فيها اثنتي عشرة سنة أنشأ في خلالها جريدته « الحمراء » عام

١٩١٣ وفي سنة ١٩١٦ لقب نفسه «بابي الفضل الوليد» وأثبت اسمه الجديد في سجل حكومة البرازيل فأصبح له اسماً رسمياً وفي عام ١٩٢٢ قفل راجعا الى ارض لبنان ، ماراً بتونس والجزائر حيث كرمه رجال الأدب والعلم تكريماً يتناسب ومقامه الأدبي .

بقي في لبنان حتى عام ١٩٢٤ ثم ارتحل عنه الى القاهرة حيث استبدل أهلاً بأهل وإخواناً باخوان : فكانت تقام له حفلات التكريم ويدعى الى مآدب العلماء والكبراء ثم رشح في هذه الفترة للسفارة العربية في (باريس) فحال دون تحقيق ذلك حرب الحجاز وسقوط جده ؟؟

غادر القاهرة ١٩٢٥ الى القدس ومنها الى عمان حيث نزل ضيفاً على جلالة ملكها .

وبعد أيام أوفده الملك برفقة ولي عهده الى أبيه الشريف حسين في العقبة حيث استقبله الشريف أحسن استقبال وانزله ضيفاً في في قصره وبعد أيام أنعم عليه بلقب (شيخ) ومكث في ضيافة الشريف بضعة أشهر وكان بوده لو بقي العمر كله لولا تأزم الموقف السياسي في تلك البلاد ؟ .. رجع ابو الفضل الى دمشق وطاف في أنحاء البلاد السورية حتى اذا انتهى به المطاف الى العراق ، استقبله المغفور له الملك فيصل استقبالا حاراً ورحب به ترحيباً بليغاً مع حاشية قصره .

ولما عاد الى بيروت عام ١٩٢٦ بدأ باصدار مؤلفاته نذكر منها رواية (زوال الحب والملك) و(أحاديث المجد والوجد) نثر (رياحين الأرواح) شعر (نفخات الصور) شعر (أغاريد في

عواصف) شعر (الأنفاس الملهبـــة) شعر كتاب (القضيتين) سياسة (التسريح والتصريح) لغـــة وأدب (غافر ولبانة) قصة شعرية تمثل النهضة المصرية، وغير ذلك من خطب ومقالات وقصائد تركت مبعثرة هنا وهناك في بطون الصحف والمجـــلات وفي مكتبته الخاصة .

وفي سنة ١٩٢٩ انتدبته لجنة من أحرار البلاد ليمثل لبنان في المؤتمر الشرقي الذي عقـــد في برلين كما جاء في كتابه (نفحات الصور) ص ١٢ .

ومنذ ذلك التاريخ لم يغادر لبنان حتى عاجلته المنية . والآن نقدم هذا النموذج من شعره القومي ممثلا في هذه الأبيات :

بـــلاد العرب ملك للنبي يزلزل تحت رجـل الأجنبي
فقل للطامعين بنا رويداً قد استغنى اليتيم عن الوصي

* * *

هذي القصائد أركان لمملكة قلبي خراب لمرأى ربعها الخرب
من كل قافية تنقض صاعقـة على الذين استحلوا حرمة العرب

هذه كلمة وجيزة في فقيـــد عاش ومات في سبيل الأدب والعروبة .

رسائل وآراء

في الادب والفلسفة

لي وللنـــاس

•

وادي العرايش وعمر أبو ريشه

خليـــل تقي الدين

الدكتور نقولا فياض

محي الدين النصولي

عبد الله مشنوق

عمر فروخ

الزنجـــاني

الحومـــاني

الجزائري

الشاعر القروي

الياس فرحات

بين وادي العرائش وعمر ابو ريشه

●

كنت[1] في أمسية من أمسيات الصيف الماضي ونفر من نجار جبل عامل سكان بيروت[2] نرتع بين الحديث والنظر في وادي العرايش - زحله - حيث تغمرنا أفياء الاشجار الباسقات المتلألئة بمصابيح الكهرباء تتدلى خلال الاوراق الوارفة حتى تصيب الجداول المنسابة كأنها تصغي ثم تتمايد حتى لكأنها تهيم بما يغمرها من هدير ..

كنا نبصر بها وهي تتدفق وتتفجر كأنها جرت من اكبد الشعراء تريد ان تنطلق وهي رهينة الضفتين ، كنت اصغي الى النهر الكبير حيناً فاستمع الى أناته المختنقات تكاد تمزق من حواليها الحواجز والجنبات ، ثم انظر الى الجدول وهو يلفظ على شطآنه ما وقع من أزاهير كانت منذ لحظات مرت تتوّج الرؤوس وتزين الصدور وقد عاجلها الذبول فغدت عبئاً للايدي ومداساً

---

(١) نشرت في مجلة الجديد الغراء لصاحبها الاساذ توفيق يوسف عواد

(٢) هما الصاحبان الاكرمان السيدان نجيب بدر الدين ومحمود صفا ، اللذان كان لهما ولم يزل عليّ يد خيرة .

للارجل ، نطرحها زاداً للنهر ، ثم أرى الاوراق المتساقطة وقد جفت منها الحياة فآثرت ان تقع في النهر لتدفن نفسها في ثناياه وهو الذي كان يمدها بالحياة ، ولكن هيهات للنهر الزاخر بالحياة ان يحتضن الفناء او يعكر صفوه الفضول ..

كنت بين هؤلاء التجار قريباً منهم عندما يحدقون الى الناس السائرين هنا وهناك على جانبي النهر الذي استقبل قبلهم اناساً وشيع آخرين ، وهو لما يزل يتابع سيره الى المصب الاخير ، ولما يزل يزأر حيناً ويثور ويتنهد حيناً ويئن من طول الطريق احياناً كثيرة .

واما هؤلاء الناس الذين كانوا يحدقون به ويصفقون له بقلوبهم وايديهم طرباً واعجاباً فقد انطوى التراب على كثير منهم وتقلبت الجنادل والصفائح فوق رؤسهم ، وعبثت باحداقهم وصدورهم ديدان الارض . وغرقت في عباب التأمل فاذا بي أرى فجأة عن كثب شاعر الشباب السوري الصديق عمر ابو ريشه ، يسير بقامته السواء بين السائرين ثم ينتهي به السير الى منضدة بجانبها كرسي فيستقل بهما ، انطلقت اليه مسلماً ومهنئاً ، وبعد حديث قلت ارجو ان يكون شاعرنا استوحى طبيعة هذا الوادي ونظم لنا شيئاً فيه لتضفي عليه جمالا وابداعاً ، فاعتذر انه لم ينظم واكد بانه يستحيل عليه النظم ما دام في زحلة وفي واديها وأيد هذا التأكيد ببراهين دامغة خلاصتها انه سينظم شعراً في وادي العرايش حينما يصبح بعيداً عنه وتعاوده ذكرياته وحنينه في فصل الشتاء مثلاً ، وحالما يغدو في بقعة من الارض لا في، فيها لشجر ولا صوت لنهر وعندئذ

يكون قد فقد هذا المنظر الواقعي ليعيش في منظره آخر ينعكس في مرآة النفس انعكاساً غامضاً لذيذاً .

ان الشاعر ينزع الى الورود يصفها في شعره حين لا يراهـا ولكنه يحن لمرآهـا ،والشاعر العاشق وقد ظفر بمحبوبته وقد راح يقلبها قصيدة بين يديه كيف يقوى ان ينصرف عنها ليصف بريق عينيها وصفاء وجهها ودقة خصرها وبروز نهديها وهي بذاتهـا الصفاء والبروز والدقة والبريق . أيجنح عندئـذ إلى قوافي الشعر ليحبسها بين طياته ويتشوق لها وقد ظفر بها وهي كل مـا ينشد ، انه ينظم فيها شعره يوم تفلت من بين يديه ويعاوده حنينهاوذكراها ...

الى هنا انتهى الشاعر من ملاحظاته الخاطفة التي ابداها والى هنا انتهيت ورجعت ادراجي الى حلقتي ونفسي غائصة في المـاء والضفة ، ورجع الهدير .

عمر ابو ريشة

احاديث في الادب مع الناس نشرتها « الاديب »
الغراء في جولتها الشهيرة عام ١٩٦٥ :

خطر لي ان أتوجه بطائفة من الاسئلة الى نفر من رجال الفكر والادب في مدينة بيروت.

ولقد كان اول من لقيت شاعر الشباب الاستاذ عمر ابو ريشة الذي هبط بيروت ليلقي قصيدته في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف . فقلت هل جنت حياتك السياسية على شعرك ؟ فاجابني قائلا : من الواجب على كل قومي عربي ان يستعمل شتى الوسائل من اجل بث الفكرة القومية في شعبه ، ولكي يوفق احدنا الى مخاطبة الجمهور ينبغي ان ينزل الى مستواه بكل ما في هذه الكلمة من معنى ايضاً ، اذ الشاعر في مثل هذه الظروف مضطر لأن يتخلى عن الناحية الفنية والمقاييس الشعرية ، فانا عندما اكتب الى فني الخاص انما اكتب بتفكير خاص واسلوب خاص ، والذين سيقرأون مسرحيتي « سميراميس » سوف لا يصدقون ان ناظمها هو الذي نظم ما عرف له من قصائد في القومية

والاجتماع وحياتي السياسية اثرت على وقتي اكثر من تأثيرها على شعري ولولا ذلك لكنت انصرفت الى النظم اكثر مما انصرف الآن ،ولكنت اخرجت الى عالم الشعر اضعاف مانشرت وانشدت.

– وهل يرتقي الشعر في عهد الحضارة ام يتأخر ؟ ...

– لا يزال مقياس الحضارة مجهولاً حتى الآن .

– فهل الحضارة التي عنيت تتمثل في سمو الروح ام في سمو المادة وايها تفضلون ؟

– السمو الروحي ، طبعاً ، لأننا في وقت طغت عليه المادة واصبح كل شيء فيه آلياً حتى العقائد والمباديء ؟ .. ان مدى التحسس بكل ما في الحياة من جمال وجلال – واعني بهما مطلقين غير مقيدين بمظهر من المظاهر – .

– هو في نظري مقياس السمو الروحي ، ولما كانت غاية الشعر ان تعبر عن خلجات الروح الحساسة كان من الطبيعي ان يسمو مع سموها . ثم تساءل « هل تستطيع الالفاظ ان تؤدي تلك الغاية ان كانت شعرية مثلاً » انه لا يؤمن بذلك لانه يرى ان الالفاظ ما هي إلا توابيت لرعشات مختلفة وخلجات عميقة لا تقوى الكلمة على اداء المعنى كما تمسه النفس او ترتعش نحوه الروح .

– من أحب الشعراء اليكم ؟

شعراء الجاهلية على الاطلاق .. فقلت اخشى ان يقول عنكم من لا يروقه هذا الرأي انكم من الرجعيين .

فاجاب : ليقولوا ... ان عندي من الادلة ما يؤيد صحة رأيي وليتهم يقولون ...

عبدالله المشنوق

•

وقصدت الاستاذ عبدالله المشنوق ، وهو المربي المعروف ومدير كلية المقاصد الاسلامية وصاحب كتاب التعاون الثقافي وصاحب جريدة بيروت المساء ، فسألته :

هل تعتقدون ان الادب العربي المعاصر يعبر عن حاجات الامة العربية وأمانيها ؟

– الواقع ان الادب المعاصر لم يكن صورة صحيحة لشعور الامة بسبب ضغط المستعمر الذي كان يحول دون حرية الفكر والقول خذ اليك مثلاً قصيدة شوقي في الثورة السورية –

سلام من صبا بردى أرق.. وكيف كانت تنقل في البلاد سراً ولم تقو صحيفة على نشرها؟ ثم صاحبك الشاعر القروي الذي كنت تحمل أعاصيره في السر حتى لكأنك تحمل المخدرات او البارود في حين ان انصار المستعمرين في الادب كانوا يرتعون ويلعبون ويشوهون ويمسخون ويطبلون ويزمرون ويأكلون ويشربون . ثم لا اخالك نسيت ايام كانت كلمة عربي او عروبة تعتبر جريمة سواء قيلت في حفل ام نشرت في صحيفة فقد يساق الاول وتعطل الثانية لهذا ولغيره ارى ان الادب لم يقو على التعبير عن خلجات الامة وما تعانيه وترسف فيه ، اما هؤلاء الذين يعبرون عن الادب الزائف ثم يدعون انهم دعاة للتجديد ؟ انهم دعاة التقليد الأعمى للاجنبي ، لذلك يأتي ما يسمونه ادباً صورة ممسوخة هزيلة ليست عربية وليست اجنبية ؟.. لكن من الآن وصاعداً وبعد ان نعمت البلاد بعهدها الاستقلالي ارجو ان تنشط الحركة الادبية وعندئذ تظهر الناحية الاستقلالية والعربية بوجهها الصحيح .

– من أحب الكتاب اليكم ؟

لعلك تقصد من احب الادباء لاني أحب هنا ان افصل بين الكاتب والأديب لان هناك كثيرين ممن يكتبون باسلوب جميل واما ادبهم فلا يستحق الاعجاب وليس من شك بان الحركة الادبية في مصر انشط منها في سائر البلاد العربية اذ استطاعت مصر ان تنجب الشاعر والاديب فالشاعر المرحوم شوقي واما الاديب فتوفيق الحكيم اذهو في نظري اديب عالمي ولعله لا يقل عن اناتول فرانس بالنسبة الى فرنسا على شرط ان لا يعتبر ما يكتبه من مقالات في الصحف

اليومية والاسبوعية اساساً لوزنه الادبي ولو اكتفى الحكيم باهل الكهف وشهرزاد ويوميات نائب في الارياف ولو لم يكن له غير هذه الكتب الثلاثة لاستحق المكانة الاولى في الادب العربي. ثم استطرد: اما طه حسين فيعجبني في دراساته الادبية ونقده الادبي ولعله أحسن من يفهم الادب العربي في مصر بل وفي الاقطار العربية . ولكن هناك من يأخذ على الاستاذ الحكيم الركاكة في الاسلوب ، ان أسلوبه صحيح وواضح على كل حال ، والاسلوب وسيلة وليس غاية في نظري ، ان توفيق الحكيم هو الاديب الوحيد الذي تجد في ادبه طابعاً شخصياً وفكرة جديدة .

– وما هو رأيكم في التعاون الثقافي بين البلاد العربية وما هي أنجع الوسائل لنجاح هذا التعاون ؟

– لقد اجبت عن هذا السؤال اجابة ضافية في كتابي الاخير – التعاون الثقافي – ولعلك تريد ان تعرف ايضاً اني هنا افصل بين التعاون وبين التوحيد لان هذه الناحية في نظري خطيرة جداً . واراني لا اقر التوحيد التام . ثم اني لست في حاجة الى تعريف لفظتي التعاون والتوحيد فهما واضحتان غاية الوضوح ، وبديهي ان الثانية أعم واشمل من الاولى ، وان التعاون قد يؤدي اذا قضت المصلحة المشتركة الى التوحيد او الى ما يقرب منه . وغايتنا في هذا الموضوع ان نرى ما اذا كان في صالح العرب من الوجهة العلمية البحتة ان تقوم العلاقات الثقافية بينهم على اساس التوحيد او التعاون او بين بين ، ونحن اذ نتكلم عن الشعوب العربية نعتبر انها بمجموعها تؤلف امة واحدة كالامة الاميركية او البريطانية

او الفرنسية .

ان امم الغرب انقسمت في هذه الناحية الى ثلاثة اقسام : قسم اخذ بمبدأ التوحيد المطلق وقسم اخذ بمبدأ التعاون الحر وقسم آخر حاول التوفيق بين المبدأين ، فالامم اللاتينية بوجه عام والجرمانية اخذت بمبدأ التوحيد التام، بينما اخذت الولايات المتحدة الاميركية بمبدأ التعاون الحر وتركت لكل من ولاياتها الثماني والاربعين الحرية الكاملة في تنظيم شؤونها الثقافية الا في بعض القضايا الرئيسية النادرة والمتعلقة بالاهداف الوطنية ، واما بريطانيا فهي تحاول التوفيق بين الفكرتين وتبدو هذه النزعة قوية في الكتاب الابيض الاخير الذي اصدرته الحكومة البريطانية عن تنظيم التربية بعد الحرب .

وحجة المتمسكين بمبدأ التوحيد المطلق انه يقضي على الفوضى التي تنشأ عن مبدأ الحرية الواسعة ويصبغ ابناء الوطن بصبغة وطنية واحدة ويشدهم باواصر متينة ويطبعهم بطابع ثقافي واحد. ويعتمد هذا التوحيد التام على مبدأ المركزية الى حد بعيد .

واما انصار التعاون الحر فيرون ان التربية ما تزال في طور التجربة والاختبار وان التوحيد وما قد يتبعه من مركزية ، يجعل شؤون الثقافة آلية ميكانيكية ، ويحول دون التجدد والتطور ، ويقتل عامل الابتكار ، فيصبح جهاز التعليم أشبه شيء بمصنع كبير للماكينات ينتج كل عام بالجملة مئات الالوف من طراز واحد من السيارات .

واما الفئة الثالثة فقد ادركت مساوىء التطرف في كل من

المبدأين ورأت ان تنهج نهجاً وسطاً فتوحد شؤون الثقافة في الخطوط الرئيسية الكبرى المتعلقة بالاهداف والاتجاهات العامة وتترك الفروع يتصرف فيها القائمون على الثقافة كما يشاؤن بشكل لا يكبت فيه الابتكار والشخصية الفردية ويفسح فيه المجال للتنويع والتجربة وما يرافقهما من تطور في مختلف النواحي الثقافية . وعلى هذه الطريقة درجت بريطانيا العظمى قبل الحرب وهي تنوي تقريرها في تنظيم الشؤون الثقافية عقب انتهاء الحرب .

محيي الدين النصولي

●

الى هذا الحديث انتهيت مودعاً الاستاذ البحاثة ثم توجهت الى مكتب نقيب الصحافة اللبنانية وصاحب جريدة بيروت النائب السابق الاستاذ محيي الدين النصولي . ووجهت اليه الاسئلة التالية :

(١) ما هو مستقبل الصحافة العربية بعد الحرب ؟

(٢) ما هي الوسائل التي تعتقدون انها تنهض بصحافتنا ؟

(٣) ما رأيكم في الصحف الاجنبية التي تصدر باللغة العربية والتي يقال انها سيكون لها اضخم ما عرفت الصحافة من رأسمال .

الى مطابع واقلام تحرير . وماذا يكون أثر هذه المشاريع في البلاد العربية و كيف ستواجهها الصحف الوطنية المحلية ؟

(٤) هل حاولتم معالجـــة قضايا الصحافة ما بعد الحرب في جمعيتكم و كيف ؟؟.

(١) لست من الذين يرجمون بالغيب ، او يدعون خرق حجب المستقبل ، ولكني من الذين يؤمنون بان المستقبل هو وليد الحاضر والماضي ، ونتيجة محتومة لهما . لقد تقدمت الصحافة العربية تقدماً محسوساً في السنوات التي سبقت هذه الحرب ، ثم حد هذا الحرب نشاطها الى مدى بعيد ، اني من الذين يقولون ان الصحافة العربية ينتظرها مستقبل باهر ، بعد ان تضع الحرب اوزارها اذا اخـذنا بعين الاعتبار ازدياد عدد القراء المطرد ، واقبال العالم العربي على العلم ، وتطلعه الى تنسم انباء العالم ، وماذا يجري في بقاعه ، وقرب المواصلات وسهولتها بما في ذلك السيارة والطائرة والتلفون والبرق ومما لا ريب فيه ان الصحافة العربية نفسها سوف تتطور مع الزمن وتساير روح العصر ، فتوجه عناية خاصة لفن الطباعة ، وحفر الصور الكاريكاتورية منها وغير الكاريكاتورية ، كما انها سوف تغري الشباب العربي على دخول مضمار الصحافة ، وحمل رسالتها المقدسة بما فيهـا من تعب وارهاق فاذا بالاقطار العربية تجد غـداً الصحفي العربي الذي يعرف ان يكون « الرأي العام » ، وان يوجه الوجهـــة الصحيحة ، وان يكون خير رسول لآماله وأمانيه ومثـــله العليا السامية .

انني اؤمن بمستقبل الصحافة العربية واؤمن به الى حد بعيد ،

واتخيل هذا المستقبل زاهراً وفتاناً يغري الشباب العربي على حمل مشعل الصحافة واتخيل الصحف العربية في مصر ولبنان مثلاً تطبع عشرات الالوف من النسخ وتطبعها طبعاً متقناً وتشحنها باطرف الانباء والمقالات وتنقلها بالطائرة الى جميع انحاء العالم العربي ، فاذا بابناء العراق ونجد واليمن والمغرب الاقصى مثلاً يطالعون انباء الاقطار العربية الشقيقة في ذات النهار الذي تصدر به صحفها او في النهار الذي يليه ، وفي هذا ما فيه من تقريب بين العربي والعربي ، وخلق دنيا عربية متسقة متجانسة تساير الرقي وتتطور مع الزمن .

(٢) ان خير الوسائل التي تنهض بصحافتنا العربية تعاون الصحافة والصحفيين من جهة على رفع مستوى هذه المهنة الحرة ، ودعم الحكومات العربية لصحافتها من جهة ثانية وذلك بحماية الصحافة من الفضوليين الذين يتوهمون ان الصحافة هي عبارة عن « شانتاج » لا اكثر ولا اقل وانها مهنة المرتزقة والمتسولين واللامبالين. ومما لا ريب فيه ان القارىء العربي باقباله على الصحف الوطنية التي تؤدي رسالتها على وجهها الصحيح واعراضه عن الصحافة « الصفراء » هو المشجع الاول والاخير للصحافة التي تحترم نفسها ..

(٣) انا لا اخشى المزاحمة الاجنبية الا اذا قدمت الرساميل الضخمة واستخدمت الصحفيين اللامعين العرب وانشأت جرائد كبيرة زودتها بكل شيء ، وقام على تنفيذ هذا الشيء الشباب العربي الذي يحترم نفسه ويعرف ان الصحافة وجدت لخدمة الرأي العام العربي خدمة صالحة لوجه الخدمة .

ولكن اين هذا الشباب العربي الذي يستطيع العمل مع الاجانب وبين ظهرانينا صحفيون عرب بوسعهم اليوم ان يقدموا الرساميل الضخمة ، وان يجهزوا صحفهم بجميع الوسائل الحديثة ، وان يلونوها باللون الوطني والمحلي في وقت واحد وان يؤدوا رسالة الصحافة الكريمة على خير وجه واتمه .

(٤) كلا لم نعالج قضايا الصحافة ما بعد الحرب في جمعية اصحاب الصحف اللبنانية ولكن تطور الصحافة وسيرها قدماً الى غاياتها السامية سوف يهيب بالصحفيين الى التكتل والى توحيد عدة صحف في صحيفة قوية جبارة تجتاح الاسواق بمادتها وروحها ورسالتها الرفيعة وان غداً لناظره قريب .

خليل تقى الدين

•

وفي ندوة البرلمان وجهت اسئلتي الى الاستاذ الشيخ خليل تقي الدين السكرتير العام للمجلس النيابي ووزير لبنان المفوض اليوم في موسكو ، فقال : سل بالجملة لاجيبك بالجملة . فقلت :

(١) ما هو رأيكم في التعاون الثقافي بين البلاد العربية ؟ وكيف ينجح هذا التعاون ؟

(٢) هل جنت حياتك السياسية على أدبك وشعرك ؟

(٣) هل يعبر الادب العربي المعاصر عن حاجات الامة العربية وامانيها ؟

(٤) من أحب الكتاب اليكم ؟

(١) في دنيا الفكر والادب تمحى الحواجز وتنهار الحدود . فرسالة الاديب رسالة انسانية شاملة . كذلك كانت ، وكذلك ستكون . وستصبح هذه الرسالة اكثر شمولا من ذي قبل لان العالم مقبل على انقلاب خطير ستكون اهم ميزاته توثق العلاقات بين الشعوب ، وازدياد اختلاط الامم بعضها ببعض ، وتعارفها عن طريق الاسفار ، والمنشورات ، والسينما ، والراديو ، وكل هذه الاختراعات التي تفتق عنها العقل البشري الجبار .

فمن البديهي اذن ان لا اكون من انصار التعاون الثقافي بين البلدان العربية وحسب ، بل بين اجزاء العالم كله ، ولست بواجد بلداً كلبنان انتشر أبناؤه تحت كل سماء ، وحملوا الى اصقاع الدنيا

رسالة الادب العربي ، ودقوا اطناب خيامهم في كل بـــلد نزلوه . ألسنا نحن اللبنانيين الذين انشأنا الاندلس الجديدة في الاميركيتين واقمنا الجسر الذي عبر عليه كتاب العرب وشعراؤهم من قـــديم الادب الى جديده ؟ فما لك تسألني عن التعاون الثقافي بين اقطـار العرب ، ولبنان كان ولم يبرح في طليعة البلدان التي ابت العزلة في ماضيها ، وتأباها في حاضرها ومستقبلها ، لان العزلة دليل الخوف والانكماش والجمود ، وما كان لبنان خائفـــاً ولا منكمشاً ولا جامداً .

وكثيرة هي الوسائل لنجاح هذا التعاون ، فالصحافة وتبادل البعثات ، وتزاور الادباء ورجال الفكر ، كلها وسائل . لأننـــا اخواننا ابناء الاقطار العربية فلبنان فاتح لهم ذراعيه وليتزلوا منه في أجمل بقاع الارض فيبتردوا بمائه النمير ويتنشقوا هواءه القوي ، وينعموا بطبيعته الفاتنة . ولنذهب نحن الى بلدان العرب واردين ينابيع الحضارة العربية ، فنملي عيوننا وحواسنا جميعاً بتلك الحضارة التي ركزت لواءها في الشرق والغرب ، حتى جاوزت به حـدود الهند ، والصين ! وليكن تزاورنا ، وتعارفنا سبيلاً الى توثيق عرى الحب بيننا ، وليس كالادب وسيلة الى ذلك ، ولا كالقـــلم شارة تزدان بها صدور من ينزعون الى التلاقي ، فالتعارف ، فالحب .

(٢) لو استسلمت للسياسة لقتلتني . لكني ألوذ بالادب كلما شعرت ان السياسة تكاد تطغي عليّ . فانا اخـــلو بمكتبي وقلمي واوراقي لاستريح ، وما رأيك براحة اعاني فيها من آلام الكتابة ما تعانيه المرأة من آلام الوضع . لكنها العلة يا اخي ، وعلتنا نحن

اننا اذا حرمنا الكتابة نموت .

والسياسة ، او الوظيفة ، او العمل الرسمي ، سمها ما شئت ، ليست ضرراً كلها ، ولا هي جانية على الاديب كما يتوهم الكثيرون ، ان فيها للادب مادة ثمينة جداً . واحسبني اذا فسح الله في عمري ، واعانني على ترك الوظيفة ، منحنياً يوماً على ماضيّ في دنيا الحكومة لاكتب اكثر من كتاب اوحته اليّ الوظيفة ، وادوّن مذكرات تجيء كفيلم من افلام السينما ، فيها المضحك ، وفيها المبكي ، وفيها ، على كل حال ، عظات ودروس .

لكن جناية الوظيفة انها لا تدع لنا مجالا للانصراف الى التأليف وما قولك في اننا نسرق الوقت سرقة ، ونخالف النظام ، في سبيل بحث نستجمع مواده ، او مقالة نكتبها ، او قصة ان لم نضعها على الورق عذبتنا كثيراً .

لكن ، من يدري ، فقد يكون في عملنا الرسمي خير للقراء ، اذ نريحهم من هذرنا الدائم .

(٣) تسألني هل يعبر الادب العربي عن حاجات الامة العربية ؟ كلا ! ثم كلا ! لان ادباء العرب ، او الكثرة فيهم ، لا يريدون ، او لا يستطيعون ، او لا يعرفون ، ان يهدموا الحواجز القائمة بينهم وبين الحياة . انهم يجبون الحياة ، فاذا آن اوان الكتابة او النظم نسوها وراحوا يتحدثون عن الصاحب بن عباد ، ويتغزلون بعيون المها بين الرصافة والجسر ، وعندهم ، بين باب ادريس ، وساحة البرج الف عين وعين ..

(٤) أحب الكتاب اليّ : صاحبي الذي مات ... هل تعرفه ؟ ...

الدكتور نقولا فياض

•

شكرت شيخنا الكريم ... وبعد لحظات كنت في دار « الاديب » فوجدت امير المنابر الدكتور نقولا فياض . وما هو رأيكم يا حكيم ! بماذا ؟.

بالتعاون الثقافي بين البلدان العربية . وما هي الامور المؤدية الى نجاح هذا التعاون .

ارى ان التعاون الثقافي بين البلدان العربية ضروري لتوثيق روابط الجامعة العربية بأزالة الفوارق الموجودة في العادات والاخلاق وتقريب نازحة القلوب ، وايجاد مستوى واحد من حيث التربية والعلم والحياة الاجتماعية فلا يشعر العربي

اذا رحل من قطر الى قطر انه غريب لتباين في اللهجة او تباعد في العادات من مطعم وملبس وزواج وغير ذلك مما اجمع المشترعون على تسميته بالاحوال الشخصية .

والتعاون الثقافي ليس ابن اليوم فالادب لا يعرف الحدود . والصحف والمؤلفات ورحلات الكتاب كلها من عوامل هذا التعاون وقد فكر الغربي به قبل اليوم واراد توسيع نطاقه الى أبعد غاية حتى يتناول سائر معاملات البشر بخلق لغة واحدة للتفاهم هي (الاسبرنتو » . واذا لم تنجح هذه الفكرة يومئذ فلا يعني انها تركت بتاتاً . ونحن الناطقون بالضاد حسبنا اللغة لتكون واسطة العقد بيننا فهي الاسبرنتو التي نرجو بواسطتها ضم الشمل وعليها يقوم هذا التعاون اما الامور المؤدية الى نجاحه فهي :

(١) توحيد مناهج التعليم بما يتفق وروح العصر وجعل التربية قائمة قبل كل شيء على الاخلاق وما اجمعت الديانات الثلاث عليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ثم التوجيه المهني حسب البيئة وحالة البلاد فزراعي في المناطق الزراعية وصناعي في غيرها. هذا التوجيه ضروري وفقدانه يخلق البطالة ويجعل التلميذ المنتهي في حيرة لا يعرف ماذا يعمل ولا يجد امامه سوى الطب والحقوق وسيلة للتعيش ومتى قلت الصناعات تعذر الغنى والاستنباط وكسب ثقة الغريب للحصول على الاموال من الخارج .

ولا يبلغ هذا التعاون الغاية الا بتبادل البعثات من اساتذة وتلاميذ وانشاء مجمع يضم بين اعضائه واحداً من كل بلد عربي فيعقد مثلاً كل ٣ أشهر مرة في مكان . ثم هنالك امر آخر لا اجد تحقيقه

مستحيلاً وهو ان يكون لكل قطر مرشد او خطيب جوالة يتنقل في البلدان العربية فيتسنى لكل قطر ان يسمع حيناً بعد حين عن كثب صوت الاقطار الاخرى ويظل على اتصال وثيق بها وهكذا يتم التعارف والتآلف وتشتد اواصر الصداقة والحب وتنمو روح قومية واحدة .

(٢) ومن احب الكتّاب اليكم ؟

– الشيخ ابراهيم اليازجي !

(٣) وهل يعبر الادب العربي المعاصر عن حاجات الامـــة العربية وامانيها ؟

– لا اظن فأدبنا اليوم مشتت الموضوع حائر الوجهة فيه نقص وتلكؤ سواء في القصص او المقالات او التاريخ وقلما تجد كتاباً يمكن الاعتماد عليه في توجيه الناشئة نحو المثل العليا التي تصبو اليها الامم والتي يحق للامة العربية ان تجعلها قبلة انظارها .

مع الدكتور فروخ في محاضرته

•

كانت محاضرة [1] الدكتور ضرباً من العبقرية والفلسفة المشعة العميقة التي ندر ان تجد في مثل استوائها . ومع ان لدينا من كتبها العدد الاخير فاننا لا نقرأه ولا نحاول ان نقرأه لأننا وان قرأناه جهلنا اكثره وتعذر علينا فهمه بعد ما حيل بنا سواء في مدارسنا او مجتمعاتنا عن السلف وعبقريته وفلسفته ونبوغه ، ومع ذلك فنحن امة شلها التقليد واعمتها البهلوانية الاجنبية ... اذن نحن بحاجة لمن يحاضر لنا عن السلف وبنيانه الشاهق فيبعث في نفوسنا العزيمة الصحيحة والشجاعة المثلى عندئذ يهدأ هذا الاضطراب الفكري الذي يتغلغل في نفوسنا ويكاد يكبت فينا كل اثر عربي ...

واذا كان للغرب ان يفاخر اليوم فاحر به الا ينسى انه وليد الشرق لحماً وعظماً وفكراً وايماناً ..

بعد ذلك انظر الى الدكتور كيف يصور الفرق الشاسع بين اعظم فيلسوف ينظر اليه العالم بعين الاجلال والاكبار وهو افلاطون وبين فيلسوفنا الاجتماعي العظيم ابن خلدون في فكرة ادراك العالم التكويني التي هي اساس فكرة النشوء والارتقاء واليك ما لخصه محاضرنا من فلسفة افلاطون في هذه الناحية :

« لما اعتقد افلاطون بوجود عالم من الصور المطلقة المجردة عن

(١) نشرت في مجلة « الوحدة الاسلامية » عدد ١ سنة ١٩٣٩ لصاحبها الامير سعيد الجزائري .

المادة حار في ايجاد الصلة بين العالمين – عالم الصور وعالم المادة – فتخيل بينهما عالماً متصلاً من اعلاه بعالم الصور المطلقة ومن ادناه بعالم المادة. ولكنه رأى هذا العالم الواحد غير واف بمراده فافترض عالما ثالثاً ، وما زال يفترض عالماً بعد عالم حتى ملاء ما بين عالم الصور المطلقة وعالم المادة بعوالم وهمية غير متناهية من غير ان يحل هذه المشكلة .

واليك ما استشهد به المحاضر من رأي ابن خلدون وهو ينقل قوله بالحرف عندما تحدث الفيلسوف عن كيفية نشوء عالم التكوين « ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ، ثم الحيوان ، على هيئة بديعة من التدريج وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل باول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ، ولا يوجد لها الا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال في هذه المكونات هو ان آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب لأن يصير اول أفق الذي بعده . واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه ، وانتهى في تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكرة والروية . »

واليك مثلاً آخر ضربه لنا الدكتور المحاضر يقارن فيه بين انسانية الشرق وديموقراطيته الفلسفية ، وبين ارستقراطية الغرب وانانيته من هذه الناحية وهو يحدثنا عن اخوان الصفاء وعن دار الحكمة في بغداد وعن شارلمان ومؤسسته التي شادها لأبنائه وابناء حاشيته :

فان العبقرية هزئت بالقول القائل بالحرص على العلم وبحصره في رجال البلاط ورجال الدين . فالعرب منذ مدنيتهم الاولى كانوا

يسعون الى نشر العلم بين جميع الطبقات ، حتى ان اخوان الصفاء وهم جماعة من غواة الفلسفة كانوا من احيـــاء القرن التـــاسع للميلاد، الفوا شبه دائرة معارف للفلسفة وبثوها في الوراقين مجاناً ليطلع عليها الناس كلهم حتى الجماهير منهم . ولا شك في ان عملهم هذا اساء الى المثل الفلسفية العليا ولكنهم قد مثلوا فيه على كل حال اجمل اتجاه فلسفي، ما اعلم ان العصور الحديثة تستطيع ان تبلغه فضلاً عن ان تجاوزه .

وترى فرنسا اليوم تصفق بكلتا يديها اعجاباً لان شارلمان اسس في القرن التاسع الميلادي اول مدرسة ابتدائية ، وهي مدرسة فيما علمت خاصة بابنائه وابناء الامراء من حاشيته . على انه في هذا الوقت عينه كانت دار الحكمة في بغداد مسرحاً لجهود الفلاسفـة والعلماء ينقلون من تراث اليونان والهند والفرس اسمى ما خلقته هذه الامم من الفلسفات واعظم ما انتجته في عالم التفكير » .

ثم اسمعه وهو يحدثنا ايضاً عن اتساع الآفاق العربية المملوءة بالانسانية وعن ضيق هذا الأفق في الغرب يومئذ وما فيـــه من جهل وهمجية .

« والرجل العبقري لا يمكن ان يكون ضيق الافق ، بخيـل الايمان . والعرب في العصور الوسطى ما كانوا كـذلك بل نظروا الى الحياة نظرة صادقة شفت لهم عن حقيقة الوجود في اسمى مظاهره. فبينما كان ابن سينا يعالج المرضى بالحقن وباجراء العمليات وبالمرقد (البنج) والمخدر، وبينما كان سائر الاطباء يداوون الصرع والخانوق والسل وامراض العين بما لا مزيد عليه – بالاضافة الى زمنهم – من

الدقة والعناية والرحمة بالمريض، وبينما كانوا يضعون المرضى بالمستشفيات المختلفة التي تضمن للمريض اتم معالجة في اقصر مدة مع الرحمة والرفاهية، كان الاوروبيون يتناولون المحموم، او الذي في جسمه بثرة خبيثة، بالضرب واللكم حتى يخرجوا الشيطان من جسمه. وكانوا اذا لم يشف هذا المسكين من دائه - وهو لا يمكن ان يشفى بهذه الوسيلة طبعاً - اعتقدوا ان الشيطان الذي يلبسه قوي مريد ثم احرقوا الاثنين معاً - المريض والشيطان بنار واحدة، واطمأنوا الى انهم ارضوا الله بعملهم هذا».

ثم ينتقل بنا المحاضر الى رحابة الصدر في العرب والاسلام ويعطينا امثولة عن فيلسوفنا ابن رشد، كما انه يبين ما كان يتحلى به علماء العرب يومذاك من نزاهة النقد ورحابة الصدر، بما استشهد به من كلام ابن رشد:

«يجب علينا اذا الفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظراً في الموجودات، واعتباراً لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ان ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما اثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه وان كان غير موافق للحق حذرنا منه وعذرناهم».

هذا ابن رشد فاسمع ما قال عنه بعض فلاسفة القرون الوسطى وهو يتكلم على ابن رشد «لقد سموه «الملعون» وقالوا عنه «انه» كلب كلب ينبح على النصرانية».

هذه لمحات من ساعات عشناها مع الدكتور فروخ يردّ التهم ويوضح الحقيقة العربية.

على ضوء العلاّمة الفيلسوف الزنجاني

•

تناول علامتنا فلسفة [1] الاديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والاسلامية وعللها تعليلاً صحيحاً مبتعداً عن مرامي التعصب ومزالق الجهل . وكانت فصاحة لسانه العربي الطلق تموج النـاس كما تموج الحركة صفحة الماء ورؤوس الاشجار ... ولقد كان يرمي من خلال اقواله الى جمع الكلمة وتوحيد القلوب بين ابناء الشرق غير مفرّق بين مسيحي ومسلم قائلا إن الجنة التي عرضها كعرض السموات والارض تتسع للجميع على السواء .

اجل فليعمل الشرق اليوم يداً بيد كما تعمل الامم الحية فينبذ العنعنات البغيضة مصدر الخسران المبين والخيبة الفاضحة . وقد دعا الى توحيد الثقافة بين مختلف الطبقات، ذاكراً انه متى توحدت العقول والافكار، توحدت القلوب والاهداف .

هذه هي الحقيقة التي لا غبار عليها . فليطمئن الذين يخـافون « بعبع » الوحدة وليهدأ بالهم . واحب بهذه المناسبة ان اقول ان

---

(١) تعليق نشر في الامالي عدد ١٨ على المحاضرة الفلسفية الاسلامية التي القاها في دار الايتام الاسلامية في بيروت العلامة الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني كبير علماء العراق .

القطيعة التي يشعر بها الواحد منا بينه وبين صاحبه لم تكن ناتجة عن حقيقة المعبد او الكتاب ،وإنما عن هذه الروح البغيضة التي جعلت الاديان في نظر الفريق الاكبر عبارة عن احزاب سياسية يعمل كل منا لشد ازر حزبه ،واذا كان هنالك كره يحمله فريق ضد الآخر ،فلكونه لا يعمل في حقله وينصر مبدأه .

انا مسلم وماذا يضيرني من اخي المسيحي وهو في معبده يقرأ الانجيل ويدعو ربه مصلياً ؟ وكذلك هو ماذا يضيره مني وانا في مسجدي اقرأ القرآن واسبح الله بكرة وعشيا .

إنما الذي لا ارتضيه من اخي هو انني اؤمن انني شرقي عربي لحماً ودماً قلباً ولساناً ،واني ولدت في بقعة شرقية بزغ فيها فجر عيسى ومحمد عليهما السلام .

وإني اراه احياناً يتهرب من هذه الشرقية وهذه العروبة ليلتحق بغيرهما ..

وكذلك هو حينما يراني اميل الى عقيدة لا يقرها . فالاديان اصبحت اذن ندوات احزاب فحسب . والعلاج الوحيد لهذا الداء المخيف ان يعمل الشرق وخاصة لبنان لتوحيد الثقافة . إنها نعم الرابطة ونعم الوحدة، يجتمع تحت لوائها حملة الانجيل والقرآن على رأي العلامة الزنجاني حفظه الله ذخراً .

الحوماني و «حواء»

•

لا احسبني [1] بحاجة الى كثير شرح لأبين العوامل التي حملتني على نشر ديوان حواء ، في هذه الايام العصيبة ،وسرعان ما اقتنعت بالاقدام على نشره لاسباب كثيرة اهمها :

انه منذ اربع سنوات ونيف والمجلات والصحف العربية تقدم بين يدي قرائها نماذج من هذا الديوان وتعدهم بصدوره في اقرب وقت ،ولما رأيت ان «اقرب» قد استحالت الى «ابعد» ...اقدمت على النشر مطمئناً مرتاحاً .

وهنالك نفر من الشباب المعجب بشعر الاستاذ الحوماني يرغب اليّ في ان اعلن الشاعر عن رغبتهم باصدار « حواء » وقد شوقهم الى ذلك ما قرأوه في الصحف، او سمعوه من فمه ،في مناسبات شتى.

وشيء آخر هو مضي بضع سنوات لم تظفر المكتبة العربية في خلالها بديوان شعر واحد تجعله في الرعيل الاول من الدواوين الشعرية التي تفخر بها وتسعى جاهدة الى ضمها ، اللهم الا بضع مؤلفات توشك ان تتلاشى امام هذا السيل الجارف من المؤلفات

---

١) كلمة صدر بها ديوان « حواء» لصاحب مجلة العروبة الشاعر الكبير الحوماني (طبع عام ١٩٤٣ في مطبعة الكشاف بيروت) .

النثرية ،حتى خيل لقراء العربية ان الشعر قـــد انقرض او دالت دولته ، ولكني لا احسب ان الشعر ينقرض وفيه امثال ناظم حواء القائل وهو يداعب صغيرته بلقيس من وراء البحار هـذه الابيات

«بلقيس ! يا هانم ماذا جرى بعدي على ارجوحة البلبل
هـــل لا تزالين ترقينه من جيبك المحشو بالسنبل
يرقص كالمجنـون حتى اذا اشبعته خف الى الجدول
وراح يروي لعصافـــيره تساقط الحب من الانمل
وكلما انشدهـــا اعولت وانصرفت تفحص بالارجل
سائلة كفيك هـــل ابقتا سنبلة للفـاحص المعول »

وزاد في تشجيعي قول شاعر العروبة المجـــدد الاستاذ بدوي الجبل، اذ كنا نتحدث عن شعر الحوماني قوله «الحوماني من شعرائنا الكبار وأما في المرأة فهو اشعرنا »

اجل كل هذا وغيره اهاب بي ان اتقدم الى صاحب « حواء » بأن يأذن لي بطبع ديوانه فنشره على قراء العربية . اما وقد اجاب راضياً فلا يسعني الا ان اشكره واسأل الله دوام قلمه وحياتـــه طويلًا ذخراً للعروبة وفخراً للعربية .

الشاعر العالم الجزائري و « الطلاسم »

•

كنت مع صـــديقي الشاعر الحوماني في الفندق الكبير حيث ينزل الضيف الكبير العلامة الشيخ الجزائري [1] فاخـــذ مكاني في الحلقة المحدقة بالعلامة من مختلف طبقات المدينة ... يتابع العلامة حديثه عن القومية والادب ، وانا في تلـك اللحظات قلب واذن . وبعد وقت يسير ، ودعت وانصرفت ، وفي نفسي ما يعـلم الله من اجلال واعجاب واكبار للعلامة ضيف لبنان ، للقومي المجاهد الذي سجلت له سنونه الخمسون تاريخاً كبيراً يبعث الروح القومية للدفاع عن العقيدة والعروبة .

يا للسان الممراح الهادي، كيف كانت تتساقط الالفاظ منه طيعة تساقط السنابل تحت المنجل . لقد اعجبت بالعلامـــة المتحدر من اعماق العروبة ، من اعماق الصحراء ، من بني اسد ، من تلـــك الشجرة المدوي فعلها ، اللآهبة صيحاتها ، ولا تزال تحمل لنـا في تلافيفها عصارة كريمة منيعة في – النجف الاشرف – منذ قرون وقرون . يثبته تاريخ حافل بامجاد آل الشيخ احمـــد الجزائري في

---

١) هذه الكلمة صدر بها ديوان حل الطلاسم المطبوع في بيروت عـام ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م)في مطابع الاتحاد .

دنيا العراق الوضاحة الجبين . وسواء منهم العالم والاديب والمجاهد في حلبات التحرر وانطلاق العروبة من المستعمر ونيره .

وفي مقدمة من يعاصرنا من هذه الاروعة صاحب هذا السفر ، صاحب الحرب النجفية في وجه المستعمر عام ١٣٣٦ هـ التي كانت الخطوة الاولى لاستقلال العراق . ومالي احاول الذهاب بعيداً حينما اعمدالى تقديم العالم المؤلف من قارئه ، ويقيني ان المتنبي بقوله:

واذا استطال الشيء قام بنفسه وضياء نور الشمس يذهب باطلا

يشفع لي ويغنيني عن الاطالة .

ثم تتداول الايام واذا العلاّمة في بيروت ، وعواصم جبل عامل موضع حفاوة بالغة وتقدير ، واذا هو يحاضر ، ويتحدث ، ويعظ فيتكشف لنا عن شخصية فذة في عالمها عالم في حدود الدين الى ما شاء الله ، بليغ في منطقه ونطقه الى حد الاعجاز . شاعر يكاد يلمسك معانيه وقوافيه حتى لتراه يبلغ الذروة ، فكان الشباب الواعي يحوم على مجلسه كالطير على صفحة الغدير ، في وهج الظهيرة ، ليصيب الماء ، ويتفيأ الظل ! ويشاء الحظ ان يكون لاخواني اعضاء « جمعية الاصلاح » نصيب وافر من التعرف والتقرب الى فضيلة العلامة .

بعد احاديث ومطارحات في الحديث مع اولئك الشباب . وفيما كان الشيخ يرسم لنا ما يبتدع قلبه من احاسيس الشعر ، حتى صفح نفوس سامعيه بحب الادب وحصن قلوبهم بقلاعه المنيعة . واذا الحديث يتطرق الى شعراء المهجر ، حتى اذا استقر بهم عند ابي ماضي وقصيدة – الطلاسم – التي يذهب بها مذاهب تنتهي به الى الشك بالحقيقة وسرها . وهي كما يعرفها قراء العربية منظومة رباعيات

تنتهي كل رباعية منها بجملة « لست ادري » عندها رحنا نستمع الى الشيخ الجليل وهو يفكك لنا اجزاء الطلاسم ، ثم كيف يجيب عليها من بحرها . و كيف ينهي رباعياته بقوله «انا ادري »

في هذه الساعة من الحديث، و كنت قد قرأت قبل ذلك الشيء الكثير عن – حل الطلاسم – الذي نشرت منه المجلات العربية بين الهند والعراق ولبنان ، رأيت ان اخواني اولئك يودون لو انها نشرت في كتاب يعم نفعه الامة العربية .

وينطوي الشيخ على مهجة صافية كحبات الفجر النقية، ويكون اعضاء جمعية الاصلاح اكثر اندفاعاً لتنفيذ الفكرة من غيرهم . ثم اجمعوا امرهم بينهم وقر رأيهم على ان يحققوا هذه المهمة، ويعهدوا الي بتنفيذها .

ولما عرضنا رغبتنا هذه ومن ورائنا ، الكثيرون من الشباب اللامع ، يتشوقون الى تحقيق رغبتنا ، مانع الشيخ بادىء ذي بدء. ولما عاودنا ملحين نزل على رغبتنا . وها انا ممن يعلمون جيداً ان الادب الصحيح قوام الشعوب وان النقد الصحيح ايضاً قوام الفن والادب ...

انتقدم بطبع هذا الكتاب . ويقيني ان القارىء واجد فيه حسنة جديدة من حسنات العلامة الجليل الجزائري يقدمها دفاعاً عن العقيدة ، واظهاراً للحقيقة عن طريق الفلسفة .

الشاعر القروي

رشيد سليم خوري

يربطني بالشاعر القروي رشيد سليم خوري . اللبناني – من قرية البرباره – بلاد جبيل المهاجر منذ ثلاثين عاماً في بلاد البرازيل

رابط من الصداقة والاخوة ،قوي، نقي، تبادلنا فيه الرأي، وارسلنا العاطفة رسائل متعددة خاصة وعامة،وكان لي من ثمرات هذه الصداقة اوراق كثيرة، كلما قلبتها شعرت بهذه الروح المبدعة السخية التي يحملها الشاعر القروي في صدره لنا نحن اصدقاءه ،ولوطنه العربي لااقاليم اقاليم ،وامصاراً ،امصارا واشلاء اشلاء،وانا في هذه الصفحات مع الشاعر القروي اود ان اُري القاريء ، كيف ان الحرف رابطة بين البشر و كيف ان رابطة الحرف تصبح عاطفة من الاخوية والقومية مقدسة على الرغم من بعد المزار ونأي الدار .

وليس القروي حكاية عابرة ،ولكنه في تاريخ الامة العربية حكاية دائمة . ومن ابرز عناوينها القريبة هي الحكاية الاخيرة التي سطرها الشاعر القروي ،فقدم ريع ديوانه « الاعاصير » لصندوق الجامعة العربية لانقاذ اراضي فلسطين من يدي المستعمرين الانجليزي واليهودي .

***

ولا غرو فهذا قطرة من بحر والشاعر القروي الذي اعطى امته قلبه لايضنّ عليها بيده . و كيف يضن وهو من هذا الساحل اللبناني الطيب من جبيل نفسها من حيث سرى في البحر اول مركب ليحمل الى مجاهل الارض اول شراع عربي .

اما الذين ضلت طريقهم وخرجوا في الضلال عن حقيقة ارضهم. اما هؤلاء فقد علمنا القروي ان نبغضهم فبغضوه وبغضونا، وثبتنا نحن في حقيقة وطننا وعاشوا هم على فضلات اوطان الناس .

***

وهذه الرسائل بيني وبين الشاعر القروي، صفحات خالصة انشر بعضها وابقي بعضها ،لا خوفاً على النشر ولكن لأن الباقي منهـا عندي هو اشياء خاصة لم يكتمـل البحث بعد فيها بيني وبينه . والصداقة سلسلة متتابعة اعرض على القارىء الآن بعض حباتها واترك ما تبقى لكتاب آخر اوسع مجالا وابعد مرمى .

توج القروي رأس العربية

لم يكن الذين نظموا[1] الشعر في هذا العصر بالقليل عددهم بحيث يستطيع كاتب او منقب ان يوفق لتعداد اسمائهم . انما الذين نظموا ووفقوا واصبحوا خالدين خلود كلمة « الشعر » قلائل اذ يسهل على كل باحث ان يحصرهم ويستوعب اسماءهم عن ظهر قلب .. ثم اذا كان لكل شاعر ميزته الخاصة وطابعه الخاص كان شاعرنا الذي سنتحدث عنه في طليعة هؤلاء الذين قصروا جهدهم وتفكيرهم على التحسس بالام بلادهم ،فجاء ما نظم صورة صادقة لالام وطنه وما يعانيه ويرسف فيه من قيود ومسكنة وتقليد . اجل لقد وفق شاعرنا رشيد سليم خوري « الشاعر القروي » الى حد بعيـد في التعبير عن انات جراحنـا الحرار فوصف الدواء الناجع وجعل اجنحة عبقريته اجنحة لمواطنيه يعلمهم كيف يكون التمرد على امتصاص العبودية السوداء .

لقد توج الشاعر القروي رأس العربية بقصائد اوجس حيالها

---

(١) نشرت جريدة الشرق الغراء لصاحبها الاستاذ خيري الكعكي هذا المقال بتاريخ ١١ تموز سنة ١٩٣٨

كل شاعر مقلد لغة وعقيدة !! ان شاعرنا عنـــدما ينظم يقطع من قلبه ومن روحه الكبيرة التي صهرها ويصهرها اياما وليالي ليخرج لبني قومه ما يحرك مشاعرهم ويهيب بهم الى حيث العزة والمنعـــة والانفلات من قيود الاستعمار البغيض حتى باتت اقواله وكأنها تدفق من الشلال او متفجر من الديناميت او قصف من الرعدوقل ما شئت فشاعرنا خليق ..

ولا تحسبني مسرفاً في القول اذا قلت لـــك اني ما تلوت مرة لشاعرنا قصيدة او قطعة من قصيدة على احد الا وتركتـه حيران مأخوذاً وقد ارتجفت شفتاه واخـــذ صدره يعلو ويهبط وانفاسه تلهب انفاسي لفرط تأثره وما اذكر اني قرأت له قصيدة واحـدة الا وعاودتها مراراً حتى يتم لي حفظها وقد اصبحت اليوم استوعي له ما يناهز الألفي بيت اتلوها متى شئت .

وقد يبدو للقارىء ان شاعرنا طويل البـاع في الحماسة وانـه قصيره في الغزل فاقول لهؤلاء القائلين ان شاعرنا هو الشاعر المبدع المعجز في كل ناحية يعالجها او فكرة تجيش في نفسه يبرزها لحيز النظم يلمسك اياها ويريك من وراء الديباجة الرائعـــة والالفاظ العذبة الحـــلوة والصورة الصادقة لحسه الصادق وشعوره الفياض ووطنيته الملتهبة ،وقبل ان اورد شيئاً من حماسياته وغاياتي الخدمة المجردة للشاعر النائي البعيد ،وامته المحرومة من غر آياته يجمل بي ان انوه بأن فريقاً كبيراً من ابناء لبنان المطلعين على شعره يتهمونه بالعداوة للبنان والكيد له والدس عليه فاقول انه لما كان شاعرنا وطنياً غيوراً على بلاده وامته وحريصاً على مصلحتها وقوميتـــه

رأى وهو النافذ البصيرة ان لا حياة لهذه الامة الا بالتحرر والاستقلال والاستقلال والتحرر يتطلبان القوة ورباطة الجأش واباء النفس والتضحية بكل شيء الا الكرامة والقومية عندئذ صرخ مستنهضاً امته بشبابها وشيوخها ان هبوا وناضلوا واستعيدوا الماضي المجيد، والعز التليد بما اوتيتم من قوة وحزم وعزم « حاربوا بسعف النخل بالغندية بالاتحاد و.. ان القوي لا يعدم سلاحاً اما الجبان فيموت الحق شهيداً بين سمعه وبصره وهو بغاب من بنادق وحراب » بمثل هذه الكلمات خاطب امته في مقدمة « الاعاصير » بعد ذلك فاستمع اليه كيف يشكو الى الله امر بلاده وما وصلت اليه من خسف في اخلاقها ،وموت في عزيمتها، و كيف بح صوته وهو يناديها ،وليس ثمة سامع او مجيب .

بهذه القطعة الرائعـــة

الهي رد مالك من اياد على وطني ورد له الايادا
خلعت على رباه الحسن فذا والبست القطبين به الحداد
وما شرف الجبال لساكنيها وشم اباثهم خسقت وهادا
الا ذوقتهم المي فثـــاروا فيارباه لست انا البلادا
اهيب بهم فلا القى مجيبـا كانني المنادي والمنادى

ثم استمع اليه وهو يريك لبنان قاعاً صفصفاً من رجاله ثم اذا بصر به احد كيف يلقنهم دروس القوة والمطالبة بالحق المغصوب حيث يقول :

لبنان يا لبنان بل ما ضرني لو قلت يا بلدا بلا سكان
ما مات حق فتى له زند له كف لها سيف له حدان

ثم كيف يؤنبهم على قولهم ابان احتلال الافرنسيين لبلادهم « فرنسا ام الدنيا .. »

والله ما ذاق الذي قد ذقته من جور « امك » احقر العبدان
لم يبق غيرك في الورى مستعبدا لم يبق غيرك ايها اللبناني

ثم كيف يعترف بذل لبنان والسكوت عليه وعدم المبالاة به.

لكن الفت الذل حتى بت ما عانيت لم تشعر بانك عاني

بعد ذلك كيف يعزو انحطاط البلاد وما اصابها من ذل ونكبات الى الجيل الحاضر وانه لا حياة له الا بموته .

ما في حياتك يا لبنان من امل حتى يغادرك الجيل الذي فسدا

وقوله :

ويا لبنان مات بنوك موتا وكنت اظنهم هجعوا هجوعا
اصول الارز فيك مفجعات وراء الترب يندبن الفروعا

يا لها من اصول تمنى الشاعر القروي ان يسقيها بدمائه وعرق جبينه طيلة عمره لتظل فروعها خضراء مصفقة كانها ايدى الرحمة تنبسط نحو السماء .

ماذا اقول في الشاعر القروي وقد ملأ نفسي وصار كل ما اردد قطع من نفسه هكذا الشعراء المبدعون تقرأهم فتجد في قوافيهم نفسك وتروح تردد قصائدهم كأنها قصائدك .

بدء التعارف

•

كتب الاستاذ خليل هنداوي المنشىء الشاعر في آب من عام ١٩٣٨ الى الشاعر القروي هـذا الكتاب يتحدث فيه عني وحي للقروي على رغم عدم التعارف الشخصي بيننا .

اخي الشاعر القروي

سلام تعارف وتحية اعجاب ، وبعد فانني كتبت هذه الرسالة لاحمل لك فيها رسالة فتى – يكاد الاعجاب بك يقتله – يحمل شعرك الوطني في النفس لا في الطرس وينشده في كل مجمع ويبشر به في كل ناد ولو صح ان عهد الرواة للشعراء يعود ! لمـــا كان منك الا راويتك الاوحد الذي يحمل ما يجيش في صدرك وينشد ما يخفق في جوانحك وقد استظهر لك ما فوق الالفين وكتب عنك اكثر من مرة – في العروبة والشرق البيروتيـــة واليوم ... ولا يزال يدوي بصوتك في كل مكان وكأنه منك الف ديوان . ولااستطيع ان اصفه لك – في حلقة – وقد شاء غير مرة ان يكتب اليك مهديا اعجابه وعاطفته ومقالاته فيتردد خشية ان يفسر هـذا الاعجاب بشيء . وقد شجعته على الاتصال بك – لان الشاعر لم يخلق بنفسه –

وقد شاء ان اكون واسطة التعارف . ومن العجب ان يقدمه اليك آخر من المعجبين بك والمقصرين بحقك ليفتقر الى وسيلة تعرفك لتعرفه بك ... ولكن ما بالنا نطلب هذه الوسائل . ولنا من عاطفتنا ما يغنينا عن كل وسيلة، هذه العاطفة التي اججها كثيراً لهيب نارك وجحيم اشعارك حتى ترك منها سبيكة صافية في صدق الوطنية وعبادة الحرية فغرد ما استطعت فانا لك سامعون وجل في اي مطاف فانا لك رامقون .

واما صديقنا المنشود فهو السيد محمد قره علي ... ومن امنيته ان يحظى برسمكم الكريم للذكرى حتى يملأ بيته بصورتكم بعد ان ملأ نفسه وقلبه بها . وارجو ان تكون غير ضنين بهذا والسلام .

خليل هنداوي

في الجواب على كتاب الاستاذ الهنداوي :

سان باولو ٢٣/٩/٣٨

اخي محمداً

ما اولاك بان تكون وسيطاً بين الادباء وبيني وانت العارف اكثر من نفسي والراعي خراف روحي الشاردة يجمعها الى حظيرة ذهنه وقلبه في حين ادفعها انا الى هذا العالم ولا اكاد احتفظ منها باثر . فلو رمت جمع قصائدي في ديوان لما وفقت الى اكثرها الا بالجهد العظيم فليتني قريباً منك لعلك تذكرني من مواضيعها ما نسيت وضيعت افمثلك يحتاج الى من يعرفه عندي وانت معرفي الى ذاتي ؟ إن في امرك يا شقيق الروح لعجبا .

في طيه رسمي عام طبع الاعاصير واني مرسل اليك منها نسخة والى الاخ هنداوي نسخة راجياً ان تتكرّما بالافادة عن وصولها.
اشكر لك يا اخي ما كتبت عني في الجرائد البيروتية التي اشار اليها الاخ العزيز خليل ولولا خوفي من ان تكون قرظتني باكثر مما استحق لسألتك ان تتكرّم بنسخة مما كتبت . لقد قلّ انتاجي لان النكبة الحالة بالوطن تكاد تعقل اللسان وتغل القلم وخير مفرجة من هذا الكرب هي العمل قدر المستطاع لمساعدة ابطال فلسطين قدّرنا الله واياكم على القيام ولو ببعض الواجب نحو امتنا العزيزة وليسقط الخونة والسلام عليكم . من

رشيد سليم خوري

في الجواب على كتاب لي ضاع مني اصله وبقيت فحواه في هذا الرد :

سان باولو ٢٨ / ١٢ / ٣٨

اخي نابغة الحفظ والرواية الاستاذ محمد قره علي العزيز .

جاءتني إضبارة ... رسائلكم ورسمكم الكريم كأنها مجموعة آثار نادرة او تحف طريفة لا تقوّم بمال ... ولقد حرصت عليها حرص الحسناء على جواهرها الغاليات واعلاقها النفيسات ولقد طالعت ما دبجته يراعتكم في «الشرق» فاذا هو قلادة في جيد اخيكم ووسام على صدره لا يفي بهما الشكر .

ارجوك يا اخي ان تقدم عني احرّ عواطف المحبة والامتنان الى الاخوان الميامين الذين تكرّموا فشاركوك بالكتابة الي والسلام

علي ولولا اني ضعيف جداً لما أجّلت الكتابة الى كل منهم . فلقد بلغت بي عوامل التأثر الشديد لحوادث فلسطين والغضب الأشد ومناقشة اعداء الوطنية كل يوم مبلغاً نهك قواي وهدّ اعصابي حتى لكان يأخذ بعض اصحابي بيدي الى الطبيب رغماً عني ولقد نقص وزني منذ كتبت لك الرسالة الاولى الى اليوم ٧ كيلو ونيف . لم اتمكن من نظم قصيدة نارية لاني حالما امسك القلم واحاول النظم اشعر بوهن قوتي امام التأثر البالغ ويكاد يغمى عليّ . ومع ذلك فقد اختلست فرصة في نهار صفا فيه اديم السماء فخرجت الى ضاحية نظمت فيها الابيات طيه تقدمها عني للاخ العزيز صاحب الامالي مع قبول عذري في تقصيرها عما تعهدون من حماسياتي القومية .

والسلام عليكم وتحية العروبة الشرقي .

من

رشيد سليم خوري

...وقوع الواقعة ... وهدوء العاصفة

•

ارجح انكم بعد وقوع الواقعة عدلتم عن اخراج الكتاب الذي ذكرتموه - ويعني بهذا كتاباً احببت وضعه اختار فيه مقتطفات من شعره وشعر الياس فرحات وغيرهما من شعراء المهجر - فان الحالة العالمية تكبح الافكار وتشني اعنة الخواطر وتخنق العواطف .

[من رسالة للشاعر القروي في ٣١-١٠-٣٩]

حقاً لقد وقعت الواقعة وغرق العالم في بحر الدم والنار وذوب الحديد وسدت قرصنة اوروبا المحاربة الطريق بيني وبين الشاعر القروي اعواما .

وفي ٢٥ - ٥ - ٩٤٦، بعد ان هدأت العاصفة الدموية وعادت جدران المجتمع رويداً رويداً الى حالتها الاولى وبعد ان سكت المدفع الاوروبي ليتكلم اللسان الاوروبي الاستعماري ولتحاول الدول المنتصرة ان تعيد على مسامع الناس القصة القديمة في استثمار الناس ارسلت الى الشاعر القروي هذه الرسالة :

الى شاعر العروبة الكبير رشيد سليم خوري حفظ الله مهجته

ورعاه وابقاه ذخراً للقومية ومشعلا لاهباً في سماء الوطنية .

لا ادري اذا كان كتابي هذا سيقع لديك موقعاً غير سيء . بعد ان انقضى ست سنوات على آخر جواب بيننا . وبعد ان وعدتك الوعد الاكيد باني لا انقطع عنك . ولكن ماذا عساني اكتب اليك والرقابة عندنا وعندكم كانت تعتبر نفسها - محافظة على السلامة - صاحبة الحق بقص الرسائل السانحة والبارحة .

منذ اشهر وقعت يدي على مجلة « العرفان » فاذا بي اقرأ فيها رسالة موجهة منكم للاستاذ صاحب المجلة والى جانبها قصيدة . وللحال شعرت اني اصبت كنزاً من الادب لا من غيره . ثم اطلعت على رسالة منك لبعض من انسبائك . وفيها تعلنه بعزمك على رحلة الى القارة الاميركية . وانكم ربما عدتم بعدها الى لبنان ، ويحي ! الى لبنان ... كان فرحي شديداً وفرح الجيش اللجب من تلاميذ روحك الشباب العربي المؤمن بالغاً اشده . على اني واخوانك نخوفنا جداً مما لعلك تحاوله . فرط الحنين الى مهد لم يستو بعد ليكون خليقاً بمعناك الكبير وجواً لروحك المصلح . ونحن نخشى ان يصدمك بواقعة فتعود وتهتف :

« ما في حياتك يا لبنان من امل ... الخ اما من فتاة لهذا الوطن ... الخ .

يا اخي يا رشيد ما زلت اخشى ان يخالجك الشك بهذه القطيعة التي بدأتها انا او قل بهذا التقصير . يهمني ان اعلمك قبل كل شيء ان هذا التقصير اذا شئت كان بالرغم مني اقول بالرغم مني واعفي نفسي عن البيان . وانما غايتي عندك اذا وصل كتابي هذا

اليك ان تؤمن بما ذكرت لك فيـــه ولا تسألني زيادة . في هذه الزيادة ما يؤلمك ويؤلمني معاً ..

ان صديقك الذي عرفت ! ما تعود ان يغفل عن عهوده ولا عن ولائه . وانه لاهون عليه ان يطويه الزمان فيما طوى ومع من طوى من ان يطوي ولاء وعهوداً لا يجب لنفسه ان ينساها ..

ولكن ما شأن الزمان بيننا ؟ ..

يا صديقي . هذا الزمان الذي يمر لحظة اثر لحظة ... يطحننا طحنـــاً ...

انه يعيدنا الى الفناء .. كان عليّ ان اقول للحظـــات سعيدة مرت بي ما قاله بعض الادباء يوماً للحظاته : « انت جميلة فقفي » .. ولكنها ما كانت لتقف ؟ !

سلطان الزمان فوق كل سلطان وقوته فوق كل قوة . لا شيء يقف في سبيله وطاحونه التي تدور ابداً تجعل من الحديد رماداً ..

تلك الطاحون الهائلة ذات الصوت الداوي كم هدت من عظام وكم مزقت من قلوب وكم عذبت من مهج وكم قرحت من جفون .

يا طاحون الزمن ! .. ليت سلطانك لا يمتد الى القلوب .. ان شغافها سرعان ما يتمزق بدورة واحدة من دولابك الهائل ..

ولكن ما الزمان وما طاحون الزمن ؟.. انني لا افرق بين الزمن وطاحونه . انه لا يدور الا ليطحن.. لا يطحن الا دائراً .. وانما مقياسه دورة دولابها الجبار .

وانما اريد ان اقول شيئاً ؟ . أما وقد خلقت يا رب قلوباً من لحم ودم . فلماذا لم تجعل لها طاحوناً غير طاحون الحديد ؟؟

انها يا رب من لحم ودم ! ..

في تلك السنوات الست او تزيد دار دولاب الزمن دورات دالت بها دول ، ودميت قلوب . وانما ثأر قلبي على رابتي ... وعلى شباب اخي علي .. عند الزمن الذي ادماه ! ..

اني دائماً ذاكر لك وان انسى لا انسى لحظات سعيدة امتعت قلبي وعقلي تلك هي لحظات مدت بها رسائلك . اما رسمك الحبيب فهو التاج الرفيع في حنايا بيتي المتواضع . ترى هل يعيد الزمن ما بدأه ... انه يبدىء ويعيد...

في ١٠ آب ١٩٤٥ عندما شرعت حكومتنا بارسال سفير يمثلها عندكم . نشرت في جريدة « الديار » البيروتية مقالا بتوقيع م. ق مفاده لماذا لا تعهد حكومتنا امر تمثيلها في البرازيل اليك والى اخوانك الاحرار اعضاء العصبة الكريمة وقد الحت فيه الى جهودكم وفضلكم جميعاً على العروبة والعربية والقومية الواحدة - لاالشركة الجديدة التي طلعوا علينا بها - القومية المشتركة - .

ومنذ اشهر اصدر صديقي العزيز كامل مروه جريدة سياسية في بيروت اسماها (الحياة) وما زلت اعمل معه فيها وفي كل مناسبة تنشر لكم ولأخينا الشاعر فرحات قبضة من شعركم الوطني تفاجيء بها قراءها وقد اعدت لكم منذ اشهر نشر خطابكم القيم في المولد النبوي الشريف.. في الجريدة نفسها ، هذا الخطاب الذي كنت قدمته بهذه الكلمة في مجلة الامالي .

* * *

اما انا فاحب ان افاجيء القوم بالقروي النـــاثر الذي يحمل

روح القروي الشاعر ، في خطاب بليغ القاه – حفظه الله – في حفلة المولد النبوي في البرازيل بعث به اليّ وما وجدت من حقي ولا من حق صاحبه الاستئثار به لأن هذا الخطاب صرخة من صرخات الحق التي لا تخنق وانى لي ان اضن بهذه الآية على العربية وهي للعربية او ابخل بها على العرب وهي في سبيل العرب .

ومن حق الامة التي تنجب مثله على حين ان انجاب مثله قليل ، ان ترفع الرأس عالياً . متغنية باخلاصه فخور بادبه . وجدير بها ان تشيد له في كل قلب معبداً وترتل له في كل لسان آية .

وأما انا الذي يناجي الشاعر من ارضه البائسة . ووطنه الذي يجرجر قيود الآلام والذل . فارسل تحيتي الى حيث تزخر نسمات الحرية عاصفة قوية . واتمنى لو ان شاعرنا يعود ليأخذ بيدنا الى المثل العليا بما ينفخ من روحه ويرسل من طموحه .

اما مجلة « الاديب » هذه المجلة التي لا احسب انها تفوتكم اعدادها او معرفة محرريها فأنها المجلة العربية الصحيحة في لبنان واسرتها الكريمة التي ستطالع تحاياها موقعة بيدها فأني اعتذر عن تقديمها اليكم ،

عام ١٩٣٩ كتبت للصديق الشاعر فرحات جواباً على رسالته القيمة . ولم اتلق بعد جواباً منه . ارجوك يا اخي ان تلفت نظره الى ذلك عل جوابي لم يصله فيدرك ويعذر . هل لك ان تأذن لي بأن اعيد طبع « الأعاصير » او ترسل لي بعض قصائد اتولى نشرها في مجموعتي المختارة لشعركم والتي ستصدر عما قريب .

*

عزيزي محمداً لا عدمت اخاك.

لقد اغترمت[1] ما حرمت ودفعت الفائدة مركبة اذ عوضتني بما حجبت عني من رسائلك هذه القلادة التي طوقت جيـــدي بثلاث عشرة لؤلؤة غالية هي تواقيع هؤلاء الفوقـــة الاعيان من كتاب وشعراء العروبة بارك الله بكم وجعلني اهلاً لدوام حبكم واعزازكم.

اني اغتنم الفرص لمطالعة مجلة الاديب حيثما وجدتها ،ولطالمـــا فرجت ابحاثها كربي ووطدت ايماني بعروبة اعلام الأدب في لبنـان فلم اعد القي بالا الى فند شيوخه وخرافة ...

اما ما اشرتم اليه فاشاعة مكـــبرة صدرت عن حادث بسيط جرى في النادي اللبناني ولا يمت الى من ذكرتم بسبب مباشر وحاشا لاخيك ان يدعي فضلاً لم يأته « لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب »

حسبنا يا محمد ان يخلص اخواننا للاستقلال . ان فوز لبنان بحريته لهو والله الغنم العظيم والحلم الذي لم نكن نرجو تحقيقه ونحن بعد احياء . ولقد ضحينا من اجل الاستقلال بالارواح فـلا جناح علينا اذا ياسرنا المتعصبين تأميناً لحياته واستعداداً للامنية الكبرى. الاستقلال مولود الاحرار الاعز وسل الدكتور فياض ينبئك عن نسبة الوفيات المئوية بين المواليد . فلتسعن العروبة خصومها بحلمها انهم ان لم يكونوا في سنتها فانهم في ذمتها إلا من نكص عن ميثاق الحرية ومالأ عدواً فالضربة الساحقة . فلكم رأينـا بيننا كما رأيتم بينكم من هؤلاء من سبقونا الى التهليل للعهد الجديد وقلوبهم تقطر

(١) في الاديب اب ٩٤٦

دماً لزوال نعمة الانتداب كما قلت فيهم :

للاستقلال يوم الجد معنى فقدتم روحه اثراً وعينا
فلو عادت حبيبتكم لعدتم وعدنا للنضال كما ابتدينا !

ان عشاق العروبة لم يكونوا قط الا استقلاليين اما الذين كانوا للافرنسيين حزباً وعلى الاحرار والحرية حرباً فاكثرهم متفنيقون فيا لشرف روح العروبة وسموها !.

نحن لا يضيرنا ان نشارك هذة الفئة مباهاتها بمجد فينيقية ، فالبلاد في شرعنا ومفهومنا من خليج فارس الى البحر الابيض حتى اخر حدود المغرب على بحر الظلمات ومفاخرها من تالد وطريف مفاخرنا في صور وصيدا وبيروت وجبيل ، كما في صنعاء ومكة ، والشام وبغداد والاندلس تنافس الغرباء ، لا بعضنا بعضاً ، بهذه كلها . فنحن نسع اخواننا الاستقلاليين المتفنيقين وهم يضيقون عنا وبعضهم ويا للاسف ، تحرج صدورهم لذكر العروبة « كانما يصعّدون في السماء » .

ولقد ختمت يوماً إحدى خطبي بقصيدة يحضرني منها هذه الابيات التي تجمع المجد من طرفيه :

نحن الالى سدنا الشعو ب ونحن مدّنا الامم
اعطاهم الله اللسان ونحن اعطينا القلم
طلع الهدى من شرقنا والغرب يسكع في الظلم
بدراً بقدموس أهلّ وبأبن عبدالله تمّ

اننا يا عزيزي نواجه اليوم من الصهيونية اشدّ ما مرّ علينا من الاخطار . ولا اخال فريقاً ما في كل البلاد العربية – إلا من ختم

الله على بصائرهم - لا يرى ضرورة الاتحاد لدرء هـذا الخطر العظيم الذي يتفاقم يوماً فيوماً . فلنتضافر على مكافحة ألدّ ألاعداء بكل ما اوتينا من قوة معنوية ومادية . قد استشرتني في اعادة طبـع « الاعاصير » عندكم فارشدتني الى طريقة نخدم بها فلسطين معـاً . اننا اليوم احوج إلى بذل ما في الجيوب ولم نكن قط من الموسرين فاذا استطعنا ان نحول قوة الاعاصير الروحية إلى طاقة مادية نكون قد خدمنا بها بلادنا من الناحيتين وانا إذاً لسعداء !. فهلمّ يا أخي نتعاون على تقديم هذا القربان إلى قدس أقداس الوطن الاكبر . لنكن قدوة لكل من يستطيع ان يفعـل شيئاً مهما يكن ضئيلاً فدية عن باب العرين . عن وادي ملوك حرماتنا . عن حياة سبعين مليوناً من العرب ، وشرف وعرض ثلاثمـائة وخمسين مليوناً من المسلمين . ولا اقول زهاء الف مليون من المسيحيين لانه ليس في الغرب إلا صليبيين !. وتحقيقاً لمشروعنا على اكمل وجه وباقصر وقت اقترح ان تتألف لجنة للطبع والنشر والتذييع وبيان النفقات وعدد المبيع من نسخ الكتاب الخ .. من اركانها الاستاذ التويني بصفته نقيب الصحافة والاستاذان عبدالله العلايلي وبهيج عثمان لخبرتهمـا بالطباعة وغيرهم معك ممن تختارون . ذلك ادعى الى احراز ثقة العموم والاقبال على مشترى الوف النسخ من الاقطار العربيـة كافة . اما ربع الكتاب فيقدم للصندوق الذي تنشئه الجامعـة العربية لشراء الاراضي الفلسطينية والدفاع عنهـا . ساكتب للاساتذة المنوه بهم وسأبعث اليك قريباً ان شاء الله بنسخة خاصة من الاعاصير لتعتمدوها في اعـادة الطبع . واذا نجحت التجربة

فسأفوض اليكم طبع « الزمازم » لنفس الغرض . اما الآن فاستميحك العذر عن عـــدم موافقتي على نشر شيء من متفرقات شعري في كتاب قبل ان اراجعه واصححه من الاخطاء التي اضافتها وأضفتها الصحف عليه ! انها من أعظم أمانيّ الخصوصية التي اسأل الله أن يوفقني لتحقيقها قبل مماتي .

قد كتبت للرفيق فرحات وبلغته سلامك وعذرك فجاوبني انه سيكتب لك.

تلطف بان تقدم عني اخلص الحب واعظم الاحترام للجهابذة الاحرار ابطال الصحافة وفرسان القـــلم الذين اسكروني بعطر التحية واستخفوني بلحن التشجيع وعسى ان تمكنني مبادلة كل منهم عطفه الخاص بما املاه حسن الظن وشرف المبـدأ والسلام عليكم اجمعين وتحية العروبة من صديقكم واخيكم .

رشيد سليم الخوري

٤٦/٧/٩ سان باولو البرازيل

— *** —

وارسلت اليه الجواب التالي :

سيدي الشاعر .

سلام عليكم وبعد ، فقد كان لرسالتكم الكريمة التي وافقتم فيها على طبع الاعاصير متبرعين بالريع لفلسطين اجمل الوقع واطيب الصدى في جميع الاوساط القومية والادبيـــة . فنشرت رسالتكم صحف كثيرة اذكر منها «الاديب» « بيروت » « النهار » «الحياة»

وحاولت ان اباشر العمل فوراً ، غير ان فصل الصيف كان يحول دون تحقيق هذه الرغبة ، فلم اكن استطيع ان اجمع نخبة من رجال الادب في موعد واحد ومكان واحد ، فكل منهم في مصيف بناحية من انحاء الجبل ، وكل منهم لا يكاد يهبط بيروت الا في اوقات عمله الضرورية الملحة ، فاضطررت الى تأجيل هـذا الاجتماع الى تشرين الاول ، وانتظرت ، خلال هذه الفترة ان تصلني نسخة عن الاعاصير مصححة منقحة معدلة كما تريدون غير انها لم تصل الى الآن فهل استطيع ان احظى باستلامها خلال الايام القريبة ؟

اجتمعت اللجنة بالامس ولن اعيد هنا ما انتهى اليه هـذا الاجتماع ، فلا شك انك قرأت ذلك في الصحف التي صدرت صباح اليوم ، غير ان الشيء الذي ازيده على ما نشر هو ان ثمة محاولة لحمل بعض الاشخاص على التبرع بنفقات طبع الديوان ، حتى يكون جميع دخله وقفاً على فلسطين ، وكذلك قررت اللجنة طبع خمسة الآف نسخة .

وقد علمت من الاستاذ جبران التويني انه سيكتب لكم رسالة الشكر التي اقرها المجتمعون . واغتنم هذه الفرصة لانقل لك ايضاً هذا الفيض من الاندفاع في الشكر والثناء الذي كان يبديه اعضاء اللجنة نحوكم ونحو هـذا العمل الذي يجب ان يكون اسوة حسنة لكل من يريد انقاذ فلسطين ومساعدتها على ذلك .

كل شيء معد ، الورق جاهز ، والمطبعة رهن الاشارة ، واللجنة تتحفز للعمل ... ولم يبق الا النسخة التي توافقون على الاخذ عنها للطبع ، فاسمحوا لي ان اكرر هنا الحـاحي في الحصول عليها في

اقرب فرصة مع رسمكم الكريم .

فتلقيت الكتاب التالي من سان باولو في ٥ / ١٢ / ١٩٤٦

اخي العزيز محمداً حرسه

سلاماً عربياً صرفاً ومحبة واكراماً .

اما بعد فما والله شعرت قط بعاطفة الشكر تختلج في صدري بمثل هذه القوة وهذا الصفاء .

لقد حققتم لي بفضلكم وصدق وطنيتكم امنية كبيرة فغمرتم قلبي بغبطة لا تقل عن غبطة العابد اذ شعر بعفو الله ورضوانه . كتاب الاستاذ التويني – سفير العرب ، لا لبنان وحده . الى الارجنتين – لما يصلني بعد ، وحبذا لو استغنيتم عن رسالة الشكر واكتفيتم بزفكم الي بشرى مباشرتكم طبع الكتاب في سبيل فلسطين ففيها وحدها من الجزاء اكثر مما استحق وليس ما توجهون الي من ثناء سوى نافلة وتطول يبهظان عاتقي بدين جديد . ولو قام كل فرد من افراد الامة ببعض واجبه نحو الارض المقدسة اذاً لأمددناها بقوة تعادل مع الحق اضعاف قوة الاعداء مع الباطل ، ارسلت لكم الاعاصير . التمس من الاخون الكرام الا يؤخروا العمل بسبب انتظارهم صورتي . ان اقلامكم الحرة المثيرة لكافية للتذييع وانها لتغني عن هذه الظواهر وان من عملكم بحد ذاته ما يقدم للامة رسما معنوياً شاملاً جذاباً اكثر من اي رسم فردي خاص اشعر معه بخجل من يساق سوقاً الى ساحة حب الظهور . ولو كانت لي ثروة لقمت بقسطي من الاعانة سراً دون ما اضطرار الى طرح كتابي لهذا الغرض ولكن لا يكلف الله نفساً الا وسعها .

قريباً يصلكم مني كراس لي فيه لامية ، من مائة واربعين بيتاً تشمل مواضيع عديدة منها فلسطين ، عيد الجلاء ، الثورة العربية الكبرى ، القنبرة الذرية ، الخ ، وكانت القصيدة في الاصل ٤٥ بيتاً جاوبت بها الامير شكيب على قصيدة تلطف بارسالها اليّ على اثر مطالعته لاميتي « اما الأولى » التي طالعتموها في « العرفان » وقد رأى نفر من المواطنين طبع اللاميات الثلاث وبيعها لاجل فلسطين فزدت على الـ ٤٥ بيتاً نحو مائة بيت فجاءت علواء وطنية ارجو ان اكون قد اصبت فيها بعض التوفيق .

تحياتي واكرامي وامتناني العظيم لأخواني عصبة « الاديب » اعز الله بكم الادب والوطن وادامكم ذخراً وفخراً .

*

ومنذ ٥ / ١٢ / ٤٦ ونحن نعمل هنا في لبنان على اصدار ديوان الاعاصير ليكون ريعه كروحه قربانا في خدمة هذا الوطن .

والناس ألفة فهم كلما انبسطت اجنحتهم في سماء الصداقة والصراحة كلما زادوا تكاتفا وتعارفا وهكذا من صداقتي للشاعر القروي تولدت صداقة ثانية في المهجر نفسه للشاعر الياس فرحات وجرت بيني وبينه مراسلات في الادب والقومية . وبذرة واحدة خيرة يزرعها انسان تخلق بستاناً فغابا ، فجيلا ، فدنيا يقصر مدى العين عن ادراك اواخرها .

وفي ١٤ تموز ١٩٤٦ تلقيت من الشاعر الياس فرحات الرسالة التالية .

*

اخي الاديب محمد قره علي .

السلام عليك . وبعد فاني معترف لك بخطيئتي المميتة على امل ان انال غفراناً كاملاً .. من اسبوعين كتب الي الشاعر القروي يقول :

« ان اخانا الاديب محمد قره علي . كتب الي وهو يسألني عنك ويريد ان يعلم اذا كنت تسلمت رسالته التي بعث بها اليك في سنة ١٩٣٩ . وكانت جوابا لرسالة منك اليه ؟ » تجاه هذا السؤال وقفت وقفة الابله ! محمد قره علي ؟ ! من هو ؟ وما هي رسالته ؟ والاغرب ان الرسالة التي يسأل عنها هي جواب لرسالة مني !..

بعد ساعات تفكير ومراجعات « وحك قرعة لم اجد شيئاً . فكتبت الى القروي اسأله بدوري : من هو محمد قره علي . وما شأنه .

وكيف يقول اني كتبت اليه وكتب اليّ وانا لم اسمع بهذا الاسم الا اليوم ؟! ... »

بعد ايام جاء الجواب : انك يا فرحات بززتني في الشعر وفي ضعف الذاكرة . محمد قره علي ، هو صديقنا ومحبنا الذي يذكرنا في ما يكتبه في الشرق العربي عند كل مناسبة ، ولقد وصل الي مؤخراً جزء من مجلة « العرفان » فيه مقال لمحمد قره علي كله عليك وخاتمته قصيدة لك لامية » لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لئن كان القروي مسرفاً في الشق الاول من الجملة الاولى ، فهو والله مقتصد في الشق الثاني منها ، اجل لقد بززته ولكن في ضعف الذاكرة فقط اما في الشعر فلا ولن لأنه ، القروي و كفى !! .

والآن نحن ثلاثة محمد فره عـــلي والشاعر القروي . والعبد الفقير ! وما دام الاولان يتفقان على ادانتي ، فلم يبق الا الاتفاق معهما عليّ !

فانا خاطىء مذنب ! وما ان القروي يبعث الي بعنوان محمد . فلأكتب الى محمد مستفسراً ، وها اناذا ...

اخي محمداً . ان السنوات السبع التي مرت من ٩٣٩ الى ٩٤٦ قد قوضت اركان الانسانية فهل تعجب اذا ذهبت بذاكرة هـذا المخلوق، اذ نسفتها نسفاً في ما نسفت من معالم وقوضت من اركان؟!

انا اليوم مقيم في مدينة « بيلو اوريزونتي » وهي حاضرة ولاية ميناس ، واجمل مدينة في البرازيل لانها احدث مدينة فيها ، لم يبلغ عمرها الخمسين بعد ، وفيها من السكان ثلاثماية الف .

من شهرين كنت في مدينـــة سان باولو — عاصمتنا الادبية والمادية — وفيها لاول مرة وقع نظري على مجلة « الاديب » امـا « العرفان » فاني اعرفها من زمان ، لأن احد اصحابي اعطاني عدداً منها قديماً . وعلى ذكر العرفان اخبرك اني عندمـا كنت في سان باولو سرق مني الأخ علي الحاج قصيدة جـــديدة ، اوحت بها اليّ تصريحات بعض اصحاب السيادة والغبطة ! بشأن الجـامعة العربية واستقلال لبنان وعشق ... للصهيونيين الذين يشبهونه صدقاً وكرم خصال .. وقد قال علي الحاج انه بعث بهـــذه القصيدة الى مجلة « العرفان » فاكدت له ان « العرفان » لن تنشرها لانها من النوع الذي لا تحتمله الاحساسات اللبنانية الرقيقة ... فاقسم انها تنشرها والغريب اني قرأتها منشورة في جريـدة « العلم العربي » التي

تصدر في الارجنتين وقد اقر صاحب الجريدة ان عليا الحاج سرقها مني وبعث بها اليه .

نحن اليوم ننتظر وصول الامير عادل ارسلان الذي تعين سفيراً سوريا في البرازيل ولقد تأخر حضوره جداً حتى اننا خفنا ان تعدل الحكومة السورية عن ارساله الينا [1] او ان ترسل الينا غيره ، اننا نريد ان يجيء الامير عادل دون سواه ، وذلك لاننا نريد ان نبرهن للمتعصبين منا ان الحكومات العربية « العاقلة » لا تميز بين العرب مهما تكن اديانهم . ولا تعترف بالحدود السياسية التي تفصل السهل عن الجبل ، بل هي لاتنظر الا الى اهلية العربي وحسن بلائـــه في مقارعة الاستعمار الاجنبي . وهنـاك فضيلة اخرى نعرفها للامير عادل وهي وحدهـا تكفي لتفضيله عـلى سواه إن الرجل شاعر ووجوده بيننا يقوي حزبنا ...

والآن اختم بتكرار السلام عليك والاعتذار اليك ودم معافى لاخيك . الياس فرحات

١٤ تموز ١٩٤٦

اخي الشاعر المجاهد الاستاذ الياس فرحات رعاه الله

تحية عربية ، هذا كتابي بين يديك يحمل لك عاطفـة قلبي ، واجلال عقلي ، واحتراماً فوق ما تسع الحروف ..

لقد وصلتني رسالتك الكريمة وهي تعبي فيضاً من عاطفتـكم النبيلة وبحراً من ادبكم المصفى وخلقكم المعـلى . فشكراً لك

(١) عدلت الحكومة السوريـة وعين الامير عادل وزيرا للمعارف السورية .

يا اخي والف شكر على هذه القلادة الثمينة التي طوقتم بها عنقي مرة ثانية ؟ ! .. اقول الثانية .بالرغم من نسيانكم القلادة الاولى التي تفضلتم بأرسالها من « لابا » تاريخ ١٢ ت اول ٩٣٩ والتي جاء فيها : « اما بعد فقد نقل اليّ الأخ الشاعر القروي رغبتك في الحصول على ديوان ورسم هذا العاجز . - لم تزل هذه الرغبة الملحة في نفسي واظنها لن تهدأ حتى تحققها - ولما كان دخول «المتفجرات» الى الوطن ممنوعاً بحكم الحال الحاضرة رأيت ان امتنع عن ارسال مطلوبك وان كنت راغباً في تحقيق رغبتك هذه التي اشكرها .. ومتى انفرجت الأزمة الحاضرة اقدم اليك منه نسخة خاصة بأسمك»

هذه حبات من القلادة الاولى ولا احسبك نسيت القلادة الثانية التي اجيبك عليها الآن والتي نشر منها جانب في الصحف اللبنانية وفي مقدمتها مجلة « الاديب » . عنيت ما اختص بالأمير عادل ارسلان . وبالصديق العزيز الشاعر القروي وهو صاحب الفضل الاول والأخير في تبادل هذه الرسائل . انا يا اخي منذ امد بعيد اتتلمذ على شعرك وادبك ولقد نشرت عنك في الصحف اللبنانية اكثر من مرة . اقول ذلك وجبيني يندى خجلاً لأن انساناً مثلي عاجز ولا ريب عن القيام بواجبك وواجب العزيز الحبيب رشيد لايحق له ان يشير الى مثل ما اشرت اليه ...

ان قصيدتك السينية التي اشرت اليها وصلتني وغب وصولها نشرتها في مجلة « الصياد » وقد تناقلتها اكثر الصحف العربية في بغداد ودمشق فليطمئن بالك ايها الاخ المجاهد الى وصول صرختك الحرة ! .

ارجو ان تعفيني من خطبة الاعتذار عن تأخير الجواب حتى هذا اليوم .. هل تتكرم بأرسال الابيات التي بعثت بها الى اخيك – كما قيل لي – يوم اعلنك ميلاد ولده سعيد « ولدت سعيداً في بلاد شقية » .

ما زلت انتقي من بواقيتك الحمراء لبعض الصحف والمجلات في لبنان العربي قصائد ومقاطع من ديوانكم تنشرها بين حين وحين

راجياً ان اتلقى جوابك في اقرب وقت

٤٦/١٢/٧

عباس محمود العقاد

●

حضرة الاديب الفاضل

الاستاذ محمد قره علي

احييكم واشكر لكم ظنكم وكرم ثنائكم ويسرني الي ارسل لحضرتكم بصورتي الشمسية توكيدا لشكري وتسجيلا لتعارف الافكار بيننا ومني اليكم ازكى تحية وسلام .

المخلص

عباس محمود العقاد

٢٦ المحرم ١٣٦٣ - ٢٢ يناير ١٩٤٤

العقاد ومن لم يسمع بالعقاد فقد ملأ اسماع القراء وصدورهم ببلاغة بيانه ورحابة تفكيره وعمق رأيه .

فقد عرفته في جملة ما عرفت به حوادث عدة اهمها ذلك الكتاب الذي اصدره في سلسلة ما يصدر من السلاسل الفكرية الذهبية الا وهو « عبقرية الامام » .

فالأراء التي تحملها هذه الصفحات لي هي اراء في الكتاب وقيمته العالية . نشرتها تباعاً وقد كنت اود ان امد بها البحث فتكون

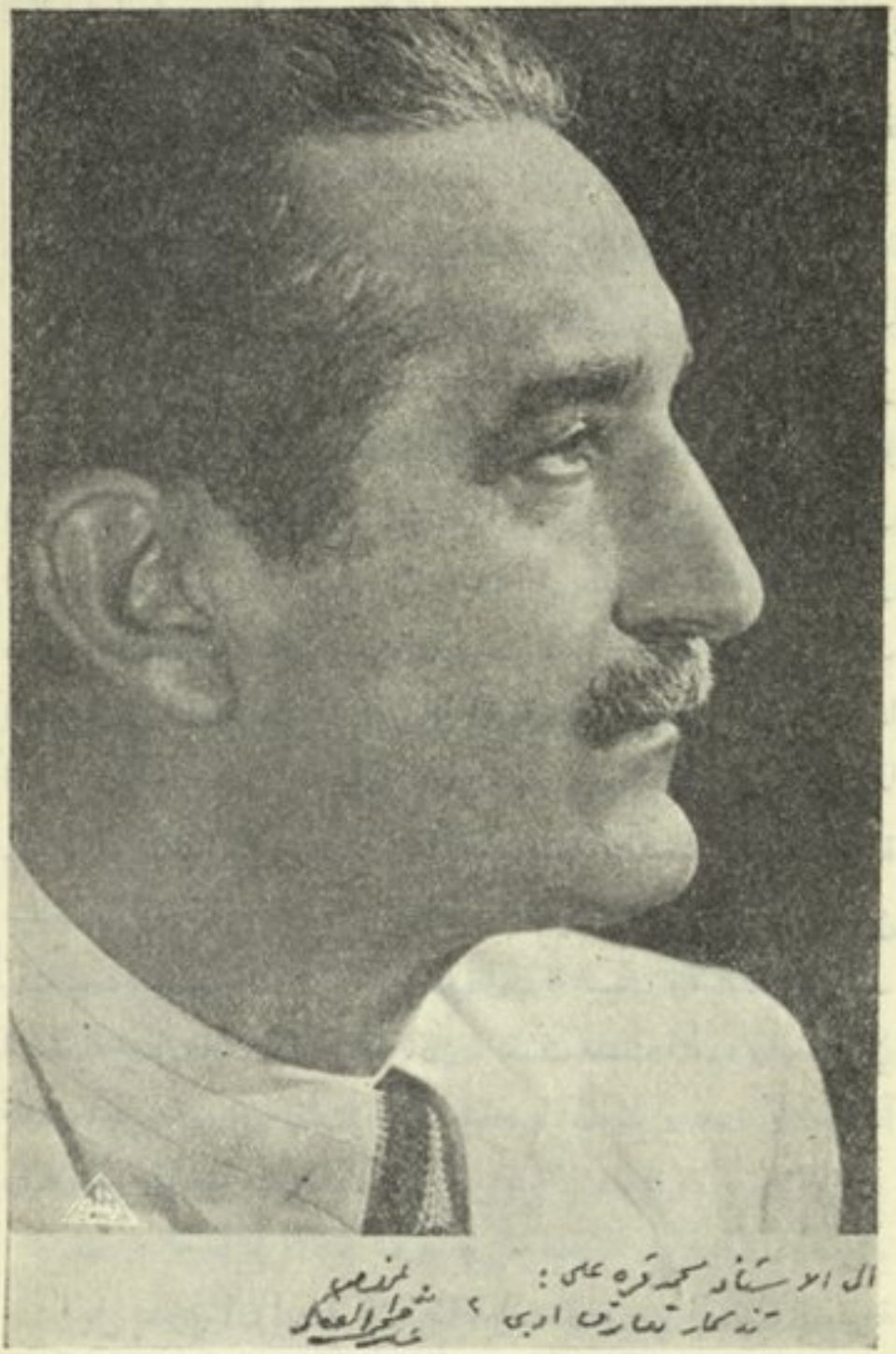

عباس محمود العقاد

هي نفسها في كتاب ولكنني بدأت انشرها ويد الرقابة الحربية تسيطر يومئذ على الاقلام فكان لي هذا الذي تقرأ وحده بعد ان احتبس قلم الرقابة فاضاع قسما كبيراً منها كما فعل ايضاً برأيي في كتاب « ابو الشهداء » للعقاد ايضاً .

وهذه الصفحات هي على رغم ايجازها فحوى الكتابين .

— عبقرية الامام —

علي بن ابي طالب ، علم على سفر صدر حديثاً بقلم العلامة الباحث الجليل الكاتب الاجتماعي الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد احد اعلام الفكر الحديث في عالم العربية . قرأت هذا الكتاب حتى اوشكت ان استظهره عن ظهر القلب فماذا وجدت في عبقرية الامام ؟ ان اول ما يهمني ان اتحدث عنه ، هو ان ارسل تحية اعجاب وتقدير لمؤلف العبقرية ، وانا على مثل اليقين باني اضعف من يعرض لمثل هذا المجهود لولا انني احب ان اتعلم الجرأة فاعلن ما يجيش في نفسي وما يهز كياني عندما اقرأ « عبقرية الامام » . وكيف لا تكون جرأة عندما يحاول هذا القلم العاجز ان يكتب او يتحدث عن كتاب ، الشخصية المقصودة فيه فذة في دولة البيان والبلاغة ، وكاتب العبقرية يحمل بين انامله براعة ان شئت صبت الحمم والرعب في قلوب الجاحدين او شئت وشاء صاحبها كانت رحمة وبرداً وسلاماً على قلوب المنصفين...

* * *

اجل يسرني ان ابعث بتحية اعجاب وتقدير لكاتب العبقرية ولان ارجو منه ان يتقي الله فيما يكتب لان الالباب التي نحملها

اضعف من ان تتحمل هذا السحر من البلاغـــة ، والنفوس التي تضطرب في اجسامنا ماتت فيها روح الانصاف منذ زمن بعيـد ، ولاننا انتهينا الى زمن نجد من العار فيه ان نرجع الى تاريخنـــا الحافل بالرجال الميامين وبالعباقرة الافذاذ فنتحدث عنهم ونأخـذ العبرة من سيرتهم ونلهب نفوسنـا بغر مآثرهم وعندئذ نصعد بهذه الارواح الى مقاصير العزة والانفة والكبرياء .

انه ليسرني ان اشكر لاديب العربية موقفه المشرف النزيه في الكتابة عن سيد الشهداء واسير البلغاء هذا الموقف الذي لم يتدنس ولم ينزع الى زيغ او هوى وانما كتب للحقيقة المجردة ، ولوجـه التاريخ المنصف .

اشكره لانه شفى نفسي من داء ملح كان يعاودني كلما قرأت او سمعت ذكر علي بن ابي طالب وكيف ان التاريخ جنى عليـه تحت تأثير مادي دنيوي وكيف ان ثقافة العصر الجديد لاهيـــة ساهية عن ذكره وعما خلفه من دروس وعبر لبني الدنيـــا حتى يومهم الاخير .

ثم ليست عبقرية الامـام هي النفحة الاولى من نفحات اديب الجيل وانما هي احدى آياته البينات ، ان للعلامة العقاد من الكتب الادبية والعلمية والاجتماعية ومن المقالات في شتى نواحي الحيـــاة ومن الشعر ودواوينه ما تزخر به المكتبة العربية وما هو كاف لان يقرأه اي ولوع في الادب حتى يغدو اديباً او متذوقاً او متفهماً .

كل ما دبجته يراعة العقاد جدير بالاكبار والاجلال غير ان لعبقرية الامام وجهاً خاصاً وشكلاً آخر يستحق عليهـا من آيات

الشكر وعبائر الاطراء والتقدير فوق ما يستحقه عن اي موضوع آخر لا لان الامام بحاجة الى مثل هذا الكتاب يرفع من شأنه او يعرف الناس عليه . كلا وقد يكون ذلك معكوساً لان عبقرية الامام هي التي ستوجه الناس الى العقاد وتعرفهم عليه وتنبهم الى الصفات البارزة التي يحملها مؤلف العبقرية ، هذه الصفات التي تعد بحق من ابرز المزايا الخالدة التي تجدر بالاحترام والاكبار فوق ما يبلغ الذهن او تسع الحروف .

وبعد فقد كنت أحب ان اطيل الكلام في الحديث عن مؤلف العبقرية لولا اني اجد نفسي امام علم قام بنفسه واستطال حتى بلغ الذروة

وأراني الآن افتح الصفحة الاولى من العبقرية فاول ما يطالعني هذا القول البليغ وهذا التعريف الرائع الممتع لشخصية الامام العظيم فاضن بنفسي ان تحرم القراء بعض هذه الآيات وانا لو أردت ان انتقي من الكتاب ما يروقني نشره لما احجمت عن نشر الكتاب برمته من الفه الى يائه ، ولو استطعت ان اوزع الاف النسخ من هذه العبقرية على بني الانسانية لما ترددت طرفة عين ليقيني ان هذه العبقرية انما هي درس انساني رفيع تجلو النفس وتبلور الذهن وتهذب الخلق وترفع بنفس قارئها الى مصاف الابطال والشهداء والعظماء والاعلام ،اليست شخصية الامام علي مجموعة تزخر بالحكمة البالغة وتفيض بالعلم القويم وتمور بالبطولة الخالدة والرجولة النادرة. ثم اليست شخصية الاستاذ العقاد فذة في حرية الرأي الصحيح والقول الصريح وقد لاقت في هذا السبيل ما لاقت في دنيا السدود والقيود

وقد تألب عليها يومئذ الحاسدون وكشر عن انيابهم الطامعون بغية النيل من الفكر المنتج والأدب الحي. وأنى لهم ان يظفروا بخنق الحرية واخفاء الرأي الحر الصريح وليس أدل على شخصية العقاد وعبقريته من «عبقرية الامام» وما أودع فيها من روحه الجبارة وبيانه المشرق. استمع اليه كيف يستهل عبقرية الامام بقوله:

«في كل ناحية من نواحي النفوس الانسانية ملتقى بسيرة علي بن ابي طالب رضوان الله عليه.

لان هذه السيرة تخاطب الانسان حيثما اتجه اليه الخطاب البليغ من سير الابطال والعظماء، وتثير فيه اقوى ما يثيره التاريخ البشري من ضروب العطف ومواقع العبرة والتأمل.

في سيرة ابن ابي طالب ملتقى بالعاطفة المشبوبة والاحساس المتطلع الى الرحمة والاكبار، لانه الشهيد ابو الشهداء، يجري تاريخه وتاريخ ابنائه في سلسلة طويلة من مصارع الجهاد والهزيمة، ويتراءون للمتتبع من بعيد واحداً بعد واحد شيوخاً جللهم وقار الشيب ثم جللهم السيف الذي لا يرحم او فتياناً عوجلوا وهم في نضرة العمر يحال بينهم وبين متاع الحياة بل يحال بينهم احيانا وبين الزاد والماء. وهم على حياض المنية جياع ظماء... وأوشك الألم لمصرعهم ان يصبغ ظواهر الكون بصبغتهم وصبغة دمائهم، حتى قال شاعر فيلسوف كأبي العلاء لا يظن به التشيع بل ظنت باسلامه الظنون؟

وعلى الافق من دماء الشهيد ... بن علي ونجله شاهدان

فهما في اواخر الليل فجرا ن وفي اولياته شفقان

***

ليصغ اولئك الذين يأخذون على ابناء الطائفة الشيعية الاقحاح باللائمة عندما يظهرون حبهم وعاطفتهم واحترامهم واعجابهم بسيرة علي عليه السلام وكيف ان ابي العلاء الذي « ظنت باسلامه الظنون » لا يسعه في هذا المقام الا ان يأتي بهذين البيتين .

ويتابع استاذنا العقاد كلامه : « وهذه غاية من امتزاج العاطفة بتلك السيرة فلما تبلغها في سير الشهداء غاية وكثيراً ما تتعطش اليها سرائر الامم في قصص الفداء التي عمرت بها تواريخ الاديان وفي سيرة ابن ابي طالب ملتقى بالخيال حيث تحلق الشاعرية الانسانية في الاجواء او تغوص في الاغوار . فهو الشجاع الذي نزعت به الشاعرية الانسانية منزع الحقيقة ومنزع التخيل ، واشترك في تعظيمه شهود العيان وعشاق الاعاجيب .

ألم يحارب المردة في فلواتها ؟ ألم يخلق له الرواة انداداً من المناجزين والمبارزين لم يخلقهم الله ؟؟ ألم يستصغر عليه المحبون الغالون في الحب ان يصرع من عرفنا من خصومه فانشأوا له من الخصوم المغلوبين من لم نعرفهم ولم يعرفوه ؟ ألم يوشك من وصفوه ووصفوا وقعاته وفتكاته ان يلحقوه بابطال الاساطير وهو هو اصدق الابطال في اصدق مجال ؟ »

ثم اصغ اليه كيف يمزج تلك سيرة الامام بالفكر والخيال والعاطفة عندما يخلص الى القول :

« لانه صاحب آراء في التصوف والشريعة والاخلاق سبقت

جميع الآراء في الثقافة الاسلامية ، ولأنه احجى الخلفاء الراشدين أن يعد من اصحاب المذاهب الحكمية بين حكماء العصور ، ولأنه اوتي من الذكاء ما هو اشبه بذكاء الباحثين المنقبين منه بذكاء الساسة المتغلبين ، ثم يخلص الى القول :

« وللذوق الادبي – او الذوق الفني – ملتقى بسيرته كملتقى الفكر والخيال والعاطفة . لأنه رضوان الله عليه كان اديباً بليغاً له نهج من الادب والبلاغة يقتدي به المقتدون وقسط من الذوق مطبوع يحمده المتذوقون ، وإن تطاولت بينه وبينهم السنون . فهو الحكيم الاديب والخطيب المبين ، والمنشىء الذي يتصل انشاؤه بالعربية ما اتصلت آيات الناثرين والناظمين » .

وتعليقاً على هذا القول البليغ والمنطق السديد يجمل بي ان اشير الى الكلمة الرائعة التي قالها امين الريحاني يوم سئل في بلاد الانجليز عن رأيه في نهج البلاغة اذا نقل الى الانجليزية :

« يبهر الجماعة ويحولهم عن الانجيل الى النهج » . وقول آخر تجدر الاشارة اليه ما دام الاستاذ العقاد قد نوّه في كلمته الى نهج البلاغة والى ادب الامام فلا بد لنا في هذا المقام من تعزيز هذا الرأي الصائب الحر من الاشارة الى الكلمة التي كتبها جبران خليل جبران في مجلة السائح الاميركية يوم تخيل الامام علي ورسمه بريشته الفنية وقد نشر هذا الرسم وتلك الكلمة التي جاء فيها :

« في عقيدتي ان ابن ابي طالب كان اول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها وهو اول عربي تناولت شفتاه صدى اغانيها فردّدها على مسمع قوم لم يسمعوا مثلها من ذي قبل فتاهوا

بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم ومن اعجب بها كان اعجابه موثوقاً بالفطرة ، ومن خاصمه كان من ابناء الجاهلية ، مات علي بن ابي طالب والصلاة بين شفتيه ، مات وفي قلبه الشوق الى ربه ، مات ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره .

« مات شأن جميع الانبياء الباصرين الذين يأتون الى بلد ليس ببلدهم والى قوم ليسوا بقومهم في زمن ليس بزمنهم ولكن لربك شأن في ذلك وهو اعلم » .

والذي ألحظه ان هذا القول لا يروق اذواق العصبة التي تنكر على الامام نهجه كله او بعضه زاعمة ان هذا النهج انما هو من صنع السيد الشريف الرضي وانه فعل ذلك بدافع نسبه من علي وحبه اللامتناهي في التقرب اليه والانتصار له . وتأييداً لزعمهم يذهبون الى ان في نهج البلاغة الفاظاً وآراء وصفية وتقاسيم متقاربة لم يظهر لها مثيل في الاسلام إلا في العصر العباسي ايام عني العباسيون بترجمة الكتب اليونانية ونقلها الى العربية « كذا » وان صفة الاعداد والتقاسيم إنما هي من خصائص الفيثاغورية والافلاطونية امثال ذلك في زعمهم قول الامام وتقسيمه الى ان « الاستغفار على ستة معان » والايمان على اربع دعائم « وصديقك وعدوك » والكفر الى اربع دعائم والشك الى اربع شعب والصدق والصادقون الخ الخ .

هذا مجمل ما يتدرع به الذين ينكرون على الامام نهجه وبلاغته وهم لو تبصروا قليلاً في الامر ونظروا الى الشعر الجاهلي وكيف ان الشاعر كان يقسم البيت الواحد احيانا الى عدة معان كقول زهير رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الاصورة اللحم والدم

ومالي ابعد وبين يدينا القرآن الكريم والحديث الشريف وعلي ربيب مدرسة القرآن والحديث وفي القرآن من التقسيم والوصف والتصوير والابداع ما هو حري ان يجعل الامام علي صاحب نهج البلاغة وهو هو من عرفنا وعرّفنا عليه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله انا مدينة العلم وعلي بابها .

كنت احب ان اطيل الكلام حول موضوع نهج البلاغة وكيف ان البعض ينكره على صاحبه ، على اني اعود بالقراء الى الصفحة الخامسة من كتاب العبقرية حيث يتابع المؤلف قوله حول تشعب النفس الانسانية وكيف ان خصام العقول وجدل الالسنة لا يزال قائماً حول كل موضوع منذ الازل ولا سيما الكلام على شخصية الامام علي وما نسج حولها من اقاويل واراء . اصغ الى الاستاذ العقاد حيث يقول : « وللنفس الانسانية نواحيها الكثيرة غير نواحي العطف والتخيل والتفكير ، وتذوق الحسن الجميل من التعبير .

« فمن نواحيها الكثيرة ناحية لم تنقطع قط في زمن من الازمان وهي ناحية الخلاف بين الطبائع والاذهان ، او ناحية الخصومة الناشبة ابداً على رأي من الآراء او حق من الحقوق ، او وطن من الاوطان .

« فقد يفتر العقل والذوق بعض حين ، وقد يفتر الخيال والعاطفة بعض حين ولكن الذي لم يفتر قط ولا نخاله يفتر في حين من الاحايين خصام العقول وجدل الالسنة واختلاق المختلفين وتشيع المتشيعين .

وان ها هنا للمجال الرغيب والملتقى القريب في سيرة هـذا الامام الاوحد التى لا تشبهها سيرة في هذه الخاصة بين شتى الخواص وهو الذي قال « ليحبني اقوام حتى يدخلوا النار في حبي، ويبغضني اقوام حتى يدخلوا النار في بغضي » او حين قال «يهلك فيّ رجلان: محب مفرط بما ليس فيّ ومبغض يحمله شنآني على ان يبهتني ».

ثم يخلص العقاد الى القول عن الذين افرطوا في حب علي وكيف انه كان يستثيبهم فيصرون على الكفر اي اصرار ويأمر باحراقهم فيقولون وهم يساقون الى الحفيرة الموقدة انه الله وانه هو الذي يعذب في النار ».

ثم يقول العقاد « وهناك الخوارج الغلاة يعلنون كفره ويطلبون منه التوبة الى الله عن عصيانه ، ويسبونه على المنابر كما سبه خصومه الامويون الذين خالفوهم في العقيدة ووافقوهم على السباب .

*

«ميدان من ميادين الملاحاة لم يتسع قط ميدان متسعه في تواريخ الابطال المعرضين للحب والبغضاء يقول اناس اله ، ويقول اناس كافر مطرود من رحمة الله »

ارأيت الى اي حد تتنازع النفوس الانسانية في شخص علي .

لعل آخر التنازع هو احتفاظ يد الرقابة بالبقية الباقية من رأيي وهي تظن رحمها الله انها منعت عنا رؤية النور فمضت عمياء وبقينا اصحاء الابصار والبصائر.

ابو الشهداء والعقاد

•

رأيت ان انشر لمناسبة عاشوراء محرم سلسلة مقالات عن هذا السفر الخالد كتاب « ابو الشهداء » الحسين بن علي عليهما السلام للعقاد لاننا ونحن في اليوم الاول حيث تبتدىء واقعة كربلاء التي انتهت بمقتل ابي الشهداء ورجاله الميامين الابطال الذين سقطوا تباعاً في ميدان التضحية والبطولة والاقدام حيث غدت دماؤهم الزكية زيتاً لمصباح الحق وبطلاناً لدعوة خصومهم . هؤلاء الخصوم الذين بكتابتهم على مناهج مختلفة وآراء متباينة ، فمنهم همه ان ينتقص حيناً من هذه السيرة ويحاول ان يخرجها عن حقيقتها ، وان يكبلها بقيود حتى تخرج شوهاء فاترة ؟ ومنهم يستهدفون مسخ التاريخ وقتل الفضيلة فيه ، وآخرون يضعونها موضع النقد من وجوه شتى . وهؤلاء إما انهم مستأجرون ، وإما انهم موتورون لرأيهم وعقيدتهم ، من الوجهة السياسية في تاريخ الاسلام . اما استاذنا العقاد فقد مزق في كتابه كل غاية ، غير غاية الحق ، وسخر من كل جمود ، وعبث بكل صفحة دبجتها يراعة مستأجر او موتور ، منذ كانت واقعة كربلاء حتى يومنا هذا ، اللهم الا ما كتبه حضرة الاستاذ العلامة الموجه الشيخ عبدالله العلايلي في كتابيه عن الحسين .

ما احوجنا لما تخرجه لنا عبقرية كعبقرية العقاد المولدة المبدعة في كل حين من مقالات في الادب والاجتماع ، الى كتب في العلم والتاريخ ، لا سيما سلسلة « العبقريات » و« اعلام الاسلام » التي اظهر لنا فيها وجوه الخلفاء الراشدين وجهادهم القويم ، وعدالتهم الحرة ، ومواقفهم المشرفة في سبيل الاسلام والعرب ، والاعلام الذين تظهر لنا فيهم البطولة الخالدة في الفتح ، والحيلة البارعة في السياسة ، والنظرة الثاقبة في الرأي .

ما احوجنا لمثل هذا الانتاج العظيم في وقت اصبح كل شبابنا المثقف يعرف فيه عن تاريخ الغرب وحياته وجغرافيته اكثر من معرفته لبلاده وتاريخه وحاضره .

* * *

نحن نحتاج كثيراً الى مدرستك هذه ، فهلا انشأتنا عليها ووجهتنا لها الوجهة التي ترتضيها لنا وعندئذ يتبين لهذا النفر ان في تاريخه الحافل بالامجاد من آيات البطولة ومن عظمة الشخصية وقوة الحياة الدافقة في تاريخهم المجيد ما يجعلهم يقبلون عليه من جديد وعندئذ يتسنمون من ورائه ذروة العزة والكرامة ! . الست في مؤلفك الاخير « ابو الشهداء » الذي نحن بصدده تكشف لهم عن صورة مثالية لشخص لو توجهوا بابصارهم الى سيرته يقرأونها بامعان نظر ، وانعام فكر لتبينوا فيها من قوة الالهام وعبقرية التضحية ، ما جعلهم ينسون كل بطل وفاتح في تاريخ الفرنجة ؟

اي رجل ولد وعاش ومات في سبيل الله ولم يحدث له تاريخ كالحسين وابيه علي ، وجده العظيم محمد ؟

اليس كل واحد منهم ومن سلالتهم مصداق قول شاعر فلسطين المرحوم ابراهيم طوقان حيث يقول :

ايكم يا آل بيت المصطفى ما قضى مستشهداً منذ علي
كلكم ينشأ قلباً ويداً ولساناً في جهاد المبطل
فتح الخلد لكم هيكله فاذا انتم بدور الهيكل
ضم جبريل جناحيه على سؤدد محض ونبل امثل
لا احاشي بينكم من احد فكمي الحرب مثل الاعزل

والآن بين يدي « ابو الشهداء » افتح الصفحة الاولى فأول ما يطالعني استهلال الكتاب بعنوان « مزاجان تاريخيان » ويعني استاذنا العقاد بالمزاجين التاريخيين مزاج يعمل للاريحية والنخوة ومزاج يعمل للمنفعة والغنيمة ، ثم يجد بينهما تفاوتا . والاريحية كما هو معروف من دلالة الكلمة ترفع صاحبها عن مواطن الزلل والريبة ، ثم تجعله في كل موقف من مواقفها موضع تجلة واحترام ، والمزاج الذي يعمل للمنفعة والغنيمة فكثيراً ما ينحدر الى مواطن الزلل والمهاترة . وربما دفع بصاحبه لأن يعمل عملاً مخالفاً لعقيدته الدينية ولناموسه الاجتماعي ، يمضي الاستاذ العلامة في تحليل كل من المزاجين تحليلاً فلسفياً عميقاً ينتهي به الى النزاع القائم بين الطالبيين والامويين حتى يقرر انه لاوجه هناك للمفاضلة والمقابلة بين الحسين بن علي ويزيد بن معاوية ... حيث يخلص الى القول : « فانتصر الحسين باشرف ما في النفس الانسانية من غيرة على الحق ، وكراهة للنفاق والمداورة ، وانتصر يزيد بارذل ما في النفس الانسانية من جشع ومراء ، وخضوع لصغار المتع والاهواء »

وبعد ان يعرض في مقدمته الى جناية يزيد واصحابه ثم الى نفس الحسين واستشهاد اصحابه بين يديه يهتف من اعماق نفسه الحرة : « الى هذا الافق الاعلى من الاريحية والنخوة ارتفعت بالنفس الانسانية نصرة الحسين ، والى الاغوار المرذولة من الخسة والاثرة هبطت بالنفس الانسانية نصرة يزيد ، وحسبك من خسة ناصريه انهم كانوا يجزون بالحطام وهتك الاعراض على غزو «المدينة» النبوية واستباحة ذمارها .. بل حسبك من خسة ناصريه انهم كانوا يرعدون من مواجهة الحسين بالضرب في كربلاء لاعتقادهم بكرامته وحقه . »

(اما البقية من هذه المباحث فقد ضرب بها قلم المراقبة الانتدابية الفرنسية في خسة التفكير وضيق الحرية) .

خـــوالد

مهداة الى العقاد

•

لا ريب في ان البطولة الخارقة[1] هي ضرب من ضروب العبقرية المتفوقة ، وان كانت تبدو شاذة احياناً ، فالذي لا ريب فيه ايضاً ان الشذوذ هو من خصائص نمو العبقرية ولأسمح لنفسي بان اسمي التضحيات القومية في سبيل المبادىء والمثل العليا بطولات ابوها الكفاح وامها العبقرية ولنضرب مثلاً هـــذه القصص الثلاث التي وقعت عام ١٩٣٦ في بعض بلدان الشرق التي ان اشارت الى شيء في معناها فانما تشير الى معالم الطريق الواضح الذي ينتهي بنا الى معنى التضحية والاقدام في سبيل التحرر والانطلاق .

***

لما اعلنت الهند عصيانها المدني عام ١٩٣٦ ولم يبق في شوارعها سوى حوانيت الانجليز مشرعة الابواب مرت فتاة هندية بشارع من شوارع « بومباي » فاذا بها تشهد فتى هنديا من طبقة الموسرين في متجر انجليزي يبتاع قطعة من الحرير الابيض . دخلت المتجر وطفقت تتوسل الى الشاب الهندي ان يقلع ويرعوي كي لا يكون حجة للسواد من قومها ، فلم ينثن بل هز كتفيه ساخراً ، وتلفتت تقول له : يا سيدي انني املك في بيتي قطعة حريرية هي صنو لهـذه

(١) نشرت في مجلة المروءة جزء ٢٠ عام ١٩٤٧

القطعة واني على استعداد لتقديمها اليك ، ولكنه ظل على وضعه الساخر . فاجهشت باكيـــة معولة . ولم تلبث ان انقضت كالنمر الغاضب تتناول مقراض المنجر وتطعن به زندها من القمة حتى المعصم فتدفق الدم بغزارة وفي مثل ردة الطرف لطخت بدمها قطعة القماش وهتفت : تحيا الهند وليسقط الخائن ... ولمـــا رأى الهندي المترف تفجر الدم سارع الى الهرب وهو يعوي من شدة الخوف ، اما صاحب المنجر فقد اكب على وجهه ... وبعد ايام كانت قطعة القماش تدخل متحف لندن لقاء الف جنيه تسلمهـــا الانجليزي طبعاً ؟..

وفي السنة نفسها وبينما الجيوش اليابانية تحتل بعض المدن الصينية كان شيخ هرم يتوارى عن اعين الفاتحين على سطح بيته . ولم يفته ان ينظر الى تحت . الى الشارع حيث كان ضابطان يابانيان يأمران جندهما باضرام النـــار ورمي الراكضين بالرصاص ولم يكن حول العجوز ما يقذف به الاعـداء . وما هي الا ثوان حتى فار الدم في عروق الشيخ ... وارتفع صدره .. وانتفخت اوداجـــه .. ثم رقصت شفتاه على دقات قلبه . وكان لا يزال الضابطان تحت شرفة بيته فتلفت فاذا اجساد الرجال والنساء التي جندلها الجند برصاصه تتلوى وتستغيث فلم يعد ليطيق ما يرى فاذا هو صاعقة تنقض عن سطح البيت على الضابطين هاتفاً تحيا الصين .. فيقتل ضابطـاً .. ويقتل .. اما شظاياه فقد تطايرت الى طوكيو حيث استقرت في قصر ابن الشمس !؟

***

وفي اواخر سنة ١٩٣٦ وبينما الاضراب يشمل البلاد السورية من اقصاها الى اقصاها . ودمشق اذ ذاك احدوثة الدنيا ومستقر الانظار والاذهان تكاد تتميز من الغيظ ودخان محنتها يوشك ان يكسف وجه الشمس ... بالرغم من حمم المستعمر التي يقذفها على احياء المدينة وبالرغم ايضاً من لمعان حراب السنغال .. فقد كانت التظاهرات قائمة على ساقيها وكانت احداها تقترب من جهات « الميدان » يتقدمها فتى يشبه العاصفة ! يهيب بالناس ان يفسحوا الطريق للموجة الصاخبة !. ويتنبه فجأة على جلبة اصوات تنبعث من وراء الجدران .. يندفع نحو الدوي ويفتح الباب ، فاذا بعشرات الغرف التي تمور بمئات الطلاب على مقاعد الدرس واعمارهم بين السابعة والرابعة عشرة ، يصرخ بهم أأنتم هنا والعبيد في «المرجة» ؟! ثم يلتفت فاذا على يمينه لوح المدرسة يحمل عملية حسابية .. المعلمون والطلاب و كأنما غشتهم غاشية الخوف والخجل . وما هي الا دقائق حتى كان كف البطل قد سمر بخنجره على اللوح صائحاً بوجه المعلمين علموهم كيف يجب ان يسيل الدم ! وبذلك يتم الحل الصحيح لعملية الحساب في منطق الحياة الحرة .. رأى الطلاب الدم يتفجر غزيراً فتدفقوا نحو الباب .. فانتزعوه .. كما انتزع البطل يده من اللوح وهرولوا هازجين !!نحو « المرجة » حيث كانت قوى المستعمر . وحيث بدأت المعركة التي هزت باريس عندما نشرت صحفها نبأ الكف الذي سمر على اللوح .. وبقيت قطرات دمه زيتاً يوقد شجرة الحرية والاستقلال الى ان كان الجلاء !! ..

في النادي الحسيني

●

القيت في ٢ محرم ١٣٦٠ هـ ١٩٤٠ م في النادي الحسيني نادي جمعية الاصلاح الخيرية الاسلامية ومدرستها في بيروت وقد تأسست عام ١٩٣٥ م ١٣٥٤ هـ

... لو لم يكن لنا من نتاج تلك الثورة الكبرى التي قاد زمامها سيدنا السبط الا هذه الاجتماعات السنوية المتوالية نتعرف في خلالها الى نفوسنا ونشحذ من عزيمتها ونجلوها بفضل هذه الذكرى وما يفيض علينا رجال العلم والادب من وحي قلوبهم وافكارهم لكفانا ذلك فخراً مع فهم جوهر ما نجتمع من اجله في هذه الليالي التي اوشكنا ان نقصرها على البكاء فالنحيب . وسواء كان ذلك غريزة في النفس ام اقتباساً من العادات والتقاليد ففي البلاد الفارسية مثلا يقتل بعض الناس انفسهم في سبيل الحسين ويشخن آخرون رؤوسهم بضرب السيوف ويدبغون جلودهم بضرب السلاسل ويلونون وجوههم لطما وصفعاً . فلنعتقد ان كل ذلك مخالف لحقيقة الدين الحنيف ما دام حرم القران الكريم قتل النفس وحذر من الارتماء في المهالك .

والحسين عليه السلام لم يقدم نفسه قربانا لدموعكم ورقة قلوبكم على ذكراه ، بل قدمها قربانا للخير والفضيلة واحياء لكلمة الحق . فقبل ان تذرفوا عـــلى الحسين من فيض مآقيكم ودماء جراحكم الجسدية اغرفوا من سيرته غذاء لارواحكم واجسادكم بحب التضحية والبطولة والاعتقاد بالله العظيم ونصرة الدين الذي هو دين الأباء والجهاد وعزة النفس ، لا دين العويل والنحيب، دين حب الخير والفضيلة ،لا دين العادات السيئة الموروثة .

وبعد لي اليكم سؤال : من ذا الذي جر الحسين الى القتل او دفع به الى هذا الاتون الملتهب من الموت المحتم ؟ اليس هو ايمانه برسالته رسالة القوة ، واعتقاده بأنه يجب ان ينصر ، وان الاسلام يجب ان يعزز .

لو كنتم بجانب الحسين يومئـــذ وسمع نحيبكم ورأى تشنج اعصابكم او كان يخاطبكم بغير قوله : كفوا عن البكاء فقد ثبطم عزيمتي . ترونه يفر امامكم فرار النور من الظلام ، والعـــلم من الجهل ، والأباء من الذل فرار الشجاع الابي من الذليل الضعيف .

**

اقرأوا سيرة الحسين واسبروا غورها تجدوا ان الحسين لايطلب منكم لاداء رسالته والقيام بها من بعده الا تكتلكم وجمع كلمتكم وتقديم نفوسكم رخيصة في سبيل ربه وربكم ، ثم في اموالكم ، ليكون كل منكم حسيناً صغيراً .

يجب ان نكون باحثين جديين ومنقبين حقيقيين لسيرة سيد الشهداء ،نتخذ منها رمزاً يرافقنا من المهد الى اللحد وشعاراً لاتؤثر

فيه السياسات والتلفيقات البغيضة التي تفت في عضـــد الاسلام .
وعندئذ تكونوا قد ارضيتم حسينكم القائل :

« ان كان دين محمدلم يستقم الا بقتلي ياسيوف خذيني »

ان هـذا النادي الذي تجتمعون فيه وهو يتسع لكم ويتسع حتى يكاد يضم ارواحكم كلها ، يضم اليوم في كل صباح اربعماية فلذة من اكبادكم . فيهم اليتيم البائس والفقير المدقع ، يقوم على تثقيفهم نخبة من شبابكم المثقف وبأدارة نفر من اخوانكم الذين وقفوا انفسهم على خدمتكم ورفع مستواكم ولي الشرف ان اكون واحداً منهم . نمد لكم يد المعونة للعمل على تعزيز هـــذا البيت بعد ان توقف ارسال المال من اخوانكم المهاجرين العاملين من جراء الحالة الدولية الحاضرة .

فلتكن ذكرى الحسين عزماً جديداً لنا ولكم .

•

«محمد قره علي بائع صحف في مدينة بيروت ممن يحاولون بجدهم وذكائهم الفطري التغلغل في صميم البيان واقتباس ما فاتهم من علم .»

كرم ملحم كرم

صاحب مجلتي العاصفة والف ليلة وليلة

مع ابي الحسن الاصفهاني العلامة والمرجع الاكبر

•

سألني سائل بالامس من هذا ابو الحسن ؟ الذي تفيض بعض

تلطف امامنا فاهداني يده الكريمة هذه الصورة

الصحف اليومية بنشر رسومه والحديث عنه ، وتزحف جماهير الناس

لزيارته من كل اقليم . فاجبته بما اجاب به الفرزدق هشاماً لما سأل عن الامام زين العابدين :

وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من انكرت والعجم

فالتفت اليّ وقال – اسألك جاداً ؟

– وانت الاديب الكبير يا دكتور ؟

– اجـــل .

ادركت عندئذ ان الكثيرين من الناس عندنا لا يعرفون من امر الأمام شيئاً ..

وعلى اثر ذلك وليت وجهي شطر جريدة « بيروت » [1] ولما طالعني وجه صاحبها الكريم ابي زكور رغبت اليه ان يأذن لي بان اكتب لقرائه عن ضيف لبنان الجليل . فتفضل مجيباً بالقبول ، ثم ودعت وانصرفت تواً الى بعلبك فدخلتها والشمس تزيلها الى المغيب وعندما نعمت بالمثول بين يدي الامام الكبير كانت جماعات الناس تسير افواجاً قادمة من كل حدب وصوب ! ..

وكان فضولي الصحفي يشجعني على الوقوف بضع دقائق اتفرس في وجه الامام المهيب فاذا بي اقف امام تمثال قداسة يطالعك بكل ما قد تتصور وما لا تتصور من اشراق نفسي غامر ، وأمر يأخذ بالحس ، واطمئنان يبعث في النفس الوانـــاً من الرضى الخاشع المتبتل ، حتى لكأنك لا تحسب نفسك امام كائن من لحم ودم ، بل كأنك في محراب تنهض فيه لبنة على معنى التقوى تساندها لبنة على معنى الايمان العميق !!..

---

(١) نشرت في جريدة بيروت الغراء تاريخ ١٨ تموز ١٩٦٦

يرجع بنسبه الطاهر الى آل بيت النبي العربي. وكانت ولادته في عام ١٨٦٣ وله مؤلفات ورسائل وفتاوى كثيرة اهمها مؤلفـــه – وسيلة النجاة - الاخير الذي يعتبر ركيزة مكينة في اصول الدين الاسلامي وتشريعه .

ومنذ عشرين سنة ونيف تسنم ذروة الرئاسة الدينية للطائفة الاسلامية الشيعية في كل انحاء الدنيا حيث يأتمر بفتواه مئة مليون مسلم فأي عالم ديني في كل جهات المعمور من بلاد الهند وفارس ، الي روسيا وتركستان الى البلاد العربية عامة من ابناء هذه الطائفة انما هو تلميذه ويحمل شهادة منه ! والذين فاتهم عهده لم يفتهم اذاعة فتاواه الدينية في بلادهم والعمل بها نأت الدار بهم ام قربت ، وهو اليوم بحكم مقامه السامي ومكانه الرفيع يشرف على كل المؤسسات الدينية ومعاهد التعليم عند الطائفة الشيعية فينفق في كل شهر على جامعة النجف وحدها مالا يقل عن ٤٠ الف دينار سنوياً ، ولايقل بريده اليومي عن بريد حكومة في الشرق الاوسط ! يتصفحه كله ويجيب على اكثره .

كثيراً ما يتفقد بيوت الطلاب ، ويتذوق طعامهم الذي يدفع ثمنه ليتأكد من جودته .

ان كلمته قسم ، واشارته يمين ،فهو اذا قال نعم فسمع وطاعة. واذا قال لا فامتناع واباء !.

لا تأخذه فيما يقول لومة لائم مهما علا منصبه وارتفع سلطانه !.

عيشه كفافه ! ابعدما يكون عن البذخ والكبرياء والعظمات الفارغة والابهات الجوفاء !؟

انه انسانية اتت كاملة المعنى لتكون معنى الحكمة في دنيا الطيش ، ومعنى الهدى في دنيا الانطلاق والشرود . انه انسانية تقوم كما يقوم المنار يضيء الطريق ليهدي الى المحجة .

***

العدل والامام علي

•

كان ذلك سنة ١٩٢٦ في مدينة باريس حيث زارها رجلان انتهى بهما المطاف الى فندق من افخم فنادق المدينة وصاحبه من ذوي اليسار والترف ، وكان الزائران يحملان مبلغاً من المال يقدر بعشرات الالوف من الليرات الذهبية وكان لا بد لهما من تسليمه الى ادارة الفندق فور وصولهما اليه . وحالما تم تسليم المال الى صندوق الفندق اخذا عهداً على صاحبه بأن لا يسلم المال لاحدهما في غيابه . وبعد ايام انقطعا عن المجيء الى الفندق مما حدا بصاحبه وعماله ان يضطربوا لهذه المفاجأة . غير انهم سرعان ما انتبهوا الى ان هوية الرجلين تنبيء بانهما تاجران يخطران بين اوروبا واميركا .

وبعد ايام جاء احدهما الى الفندق ثم دنا بخطوات وئيدة تغمره ثياب كأنها قطع من الليل ووجهه يعلوه الشحوب والانكماش وقدم نفسه الى ادارة الفندق واعتذر عن سفرهما المفاجيء ، وللحال نقدها بدل النوم والطعام عنه وعن رفيقه ثم قدم هبة سخية من المال لعمال الفندق ، مما جعلهم يلهجون بكرمه ، ثم ارادوا ان

يعرفوا سبب حزنه فلم يجابوا بغير الآه والانين !.

وبعد لحظات اجتمع الى صاحب الفندق واطلعه على جلية امره: انه فجع بشريكه وصديقه في حادث اصطدام في نيويورك .

وبعد ذلك رغب اليه ان يسلمه الامانة فاعتذر صاحب الفندق بأنه لا يحق له ان يسلم المال لاحدهما في حال غياب الآخر . غير ان الرجل استطاع بقوة بيانه ومهارته أن يقنع صاحب الفندق ويتسلم الامانة ويمضي بها شاكراً ..

انقضى النهار وتلاه نهار آخر ، وفجأة يرى صاحب الفندق الشريك المرحوم ينتصب امامه . يسلم عليه بحرارة وشوق ثم يسأله عن وصول رفيقه الى الفندق ؟

اوشك صاحب الفندق ان يصعق بين يديه لولا انه تمالك نفسه واجاب الرجل بما كان من شأن شريكه ، وهنا اوشك الشريك ان يصعق بدوره ! لولا انه هدأ نفسه ثم انه لم يجد بداً من مطالبة صاحب الفندق بالامانة كلها او نصفها لا سيما وانه هو الذي اشترط عليه ان لا يسلم الامانة لاحدهما في حال غياب الاخر . لم يعبأ صاحب الفندق بهذه المطالبة بل اكتفى بقوله انني سلمت الامانة الى رفيقك بعد ان نعاك وقد اقنعنا بموتك ، لذلك لم ابق مسؤولا عن شيء .

ورفع الرجل امره الى القضاء يشكو صاحب الفندق ، ثم اقام كل منهما للدفاع بعض كبار المحامين في العاصمة الفرنسية .

بدأت الجلسات وكاد صاحب الفندق يخسر الدعوى ، وبات الناس ينتظرون الحكم الفصل . وحدث في هذه الاثناء ان احد وكلاء

الدفاع عن صاحب الفندق قص هذه الدعوى على صديق له طالب مصري في باريس فروى الصديق لصديقه الحكاية التالية قال :

دخل رجلان على امرأة ثرية صالحة امينة فأئتمناها على مالهما ثم اشترطا عليها ان لا تسلم المال لاحدهما دون الآخر ، وبعد ايام جاءها احدهما يبكي ويلطم وجهه ثم ينعي لها رفيقه الذي لا يزال جثة هامدة في العراء ثم توسل اليها ان تنقده الامانة ليذهب الى رفيقه ويحمله الى اهله .

خدعت المرأة ، وقديماً قيل « الكريم يخدع » وسلمته الامانة وبعد ساعات جاءها الشريك الميت . فقصت له بدهشة حقيقة امرها .

احتج الرجل على المرأة ثم رغب اليها ان ترافقه الى الخليفة الامام علي ليحكم بينهما . ولما مثلا بين يدي الخليفة وراح كل يروي قصته ، احس الخليفة بان الرجل يحتال وان المرأة مظلومة . فالتفت الى الرجل وقال له ان المال لا يزال في حوزة المرأة اذهب وآتها برفيقك وتسلماه معاً عملاً بالاتفاق .

سمع المحامي هذه القصة فطار بها فرحاً ثم كتمها حتى حان موعد الجلسة . ولما شرعت المحكمة تستمع الى وكلاء الدفاع من الجانبين نهض المحامي بدوره وفاجأ المحكمة بهذه القصة وكيف كان حلها على يدي الخليفة العربي العظيم منذ اربعة عشر قرناً وأكد للقضاة ان المال لم يزل في صندوق الفندق وان صاحبه ينتظر الشريكين ليعيده اليهما معاً ...

وانقذ الحق . ومنذ القديم والعدل العربي منبع لكل حق ، وسيف على كل باطل .

مع المرأة

همسة يا سيدتي [1]

•

بلوح ان الحملة التي شنتها المرأة بوجه الرجل لا تزال آخذة بالشدة والعنف ، ولا تزال بعض الصحف والاقلام تذهب الى جانب المرأة هنا وهناك تؤيدها وتنصر حقها السليب ؟

ويبدو أن هذا التأييد مصطنع لانه يهدف الى استدرار عطفها ورضاها .

ترى متى تنتهي هذه الحملة وتتصدّر المرأة المناصب وتخوض غمرات السياسة وتنزل الى ساحات الجهاد والتضحية ؟ .

ومتى ترى تتلوى بطائرتها في الفضاء لتصب على افلاذها الموت الزؤام ونراها هابطة بمظلتها مدججة بسلاحها ؟ ناسية سلاحها الطبيعي الفتنة ، والسحر ، والاهداب ؟..

ومتى تتسلق الجبال وتهبط الوهاد وتحفر الخنادق والاخاديد ، تقود الجحافل والفيالق في البر والبحر والجو ، ثم هي تستعرض الصفوف وتعلق الاوسمة على الصدور ، متى ومتى يكون لها ذلك وفوق ذلك؟ بعد ان جمعت رأيها ووحّدت كلمتها ؟ وقرّرت الانطلاق من حرف « نون النسوة » ؟ أليس في قرارها هذا معنى (وبرهانا

(١) نشرت في مجلتي «العرفان» و«الخطيب» شهر شباط ١٩٦٥

على ذكائها النير وعقلها الواعي الحكيم .

لقد آن لنا ان ننصفها لنجعل منها نائبة ووزيرة ثم نشهدها تاجرة وعاملة آمرة وناهية وقد آن لنا ان نقول مع العلامة الشيخ عبد الحسين صادق:

بشر الغانيات عما قريب مجلس البرلمان فيهن يُدعم

فسعيد في المجلسين سعاد ونعيم نعمى، ومارون مريم.

أما أن نردد بعد اليوم مع المتنبي :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

فهذا وغيره ما لا يجوز انشاده بحال من الاحوال ؟ لان المرأة فهمت اخيراً ؟ وآلت على نفسها ان تزينا من آياتها عجباً ، انها ستنسينا أبطال التاريخ فى كل مجال من مجالات البطولة ، إنها تريد أن تنطلق من الحدود التي فرضت عليها من جانب طبيعتها ، فعلى الرجل أن يفسح لها الطريق وأن يودّع العهد الذي كان يراها به تزاول له أعمال بيته إذ هي ام لطفل ، وطاهية في مطبخ ، وخياطة لثوب...

على الرجل من الان وصاعداً ان يتسلم أعمال المرأة ويزاولها ، وان عليها ان تزاول اعماله ، إذ ربما كانت آلة العقل في الرجل قد تعطلت بعد أن سخرها للعمل في خدمة المرأه منذ كان رجل وكانت امرأة ...

إن الشاعر الذي أذاب روحه بين يديها حتى جعلها قصيدة الدنيا وزينتها .

والنحات الذي قعد السنين الطوال امام تمثالها يصقله ويهذبه ليجعل منها آلهة للجمال يخرّ لها ساجداً .

والموسيقي الذي جعلها انشودة سابحة في الفضاء يرتلها الطير ، ويحملها النسيم ، ليعطر بشذاها الازهار ، ويلون بخيالها الشفق ، والرسام

الذي قضى نحبه بين يديها قبل ان يصل الى إشباع فنه ليخرج منها صورة تصرع اللب وتثير الاعجاب ،حتى لتكاد تُغري النحل أن يحوم علي شفتيها يجني منها العسل المصفى .

والروائي والقصاص والممثل وكل اولئك الذين تسيل ادمغتهم صباح مساء حول انوثتها وهم ينشدونها في نفوسهم مصدر وحي ، وعزة نفس ،ومبعث رجولة ،واداة تجميل وتهذيب ، في النوادي والمجتمعات كل هؤلاء وجب عليهم أن يحطموا منذ الآن آلات نظمهم ونحتهم وتصويرهم وأن ينزعوا من أنفسهم ذلك التقديس للامومة والانوثة وللسحر والفتنة والرشاقة ، لأن المرأة تريد أن تخرج الى ميدان العمل ولأنها ستعمل على راحة الرجل الذي طالما سعى من أجلها وجعل من نفسه اداة لسعادتها وهنائها وراحتها .

*

وبعد هل اعطت المرأة في كل ادوارها صورة تثبت ان فيها عبقرية الرجل او جزءاً منه وبماذا ؟ خذ مثلاً الخياطة والطباخة وتربية الطفل ،وهذه من خصائصها هل وفقت في صنعها؟ ام انه لا يزال الرجل استاذها وسيدها يرشدها الى الطبخ ويتفنن لها بوضع الازياء التي تتلاءم مع قوامها ورشاقتها ليخرج منها فتنة للناظرين ولولاه لكانت لا تزال تجرجر أثواب الرجعية والقرون الوسطى .

وقواعد التربية للطفل أليست من وضع الرجل ومبتكراته ؟!.

حنانك يا سيدتي . إذ ليتك تقتعين بان تبقي قارورة يجدر بها الرفق ، أو عظيمة تهزين العالم ببسارك ساعة تهز يمناك السرير .

عفوك وغفرانك يا نائبة المستقبل والى اللقاء على عتبة المجلس .

حول مهرجان المعري في سوريا (١)

من دواعي الفخر والاعجاب هذه الحركة الادبية الناشطة في وزارة المعارف السورية الجليلة فقد اعدت المهرجان الالفي للفيلسوف الكبير ابي العلاء المعري بعد ان احيت منذ بضع سنين ذكرى مالىء الدنيا وشاغل الناس احمد ابي الطيب المتنبي ولقد كان لها بذلك من الفضل في التوجيه الادبي والبعث العلمي ما جعلنا نصفق لها اعجاباً واكباراً ...

واليوم نراها تشرع باعداد المهرجان الثاني لابي العلاء المعري وقد رأينا بهذه المناسبة ان نتقدم من الوزارة السورية الجليلة بهذا الاقتراح علّه يلقى اذناً صاغية : ان العناية بالاثر خير من العناية بالحجر فمؤلفات فيلسوفنا العظيم التي توشك آياتها ان تغيب في صفحاتها الصفراء بعد ان عبث بها الزمن ونخرها السوس واوشك ان يعفو على مكنونها بحاجة ماسة الى تجديد وشرح وعناية فاللزوميات وسقط الزند والفصول وغيرها من المؤلفات التي ستعرض في المهرجان الالفي لا تزال كما تركتها يد المؤلف في ذلك العصر .

لقد رصدت الوزارة الجليلة اربعين الف ليرة سورية لاصلاح الضريح وبعثه بشكل يتناسب مع سجينه — فهل تتفضل وليس غيرها من يتفضل — باضافة مبلغ من المال تحيي به الاثر الى جانب احياء الحجر وبذلك تكون قد ملأت قلوب الناس علماً وادباً وفهما للحياة بعد ان ملأت ابصارهم ،خشية ورهبة، بحيث انها تنشر

(١) نشرت في جريدة الانصار في ٣ — ٨ — ٤٤ .

على ابناء العربية آثار فيلسوفهم الكبير مشروحة منقحة وعندئذ يسهل على القارىء مطالعتها والاستفادة منها وبذلك تضيف الى حسناتها حسنة جديدة نطالعها في يوم المهرجان .

فيها تقليد ؟

... لقد غرب [1] عنك يا صديقي ان حياتنا كلها تقليد وكلها انتساب .. اني لأربأ بك ، ان تكون قد رسيت على هذا الشاطىء من النقد ولم تبعد خطوات بعد لترى ان البيت الذي تسكنه والطريق الذي تسلكه والطعام الذي تأكله ثم رداؤك هذا الذي ترتديه واخيراً العلم الذي تستوعبه انما هو تقليد في تقليد ؟؟

يا صديقي ان الامم تستقي عظمتها من ماضيها . والكتاب الجديد الذي تقرؤه لو نقبت قليلا لما رأيت منه غير الاقتباس والتقليد وربما الانتحال .. ومالي أبعد بك كثيراً ولاضرب لك مثلاً ، فان ادباءنا وشعراءنا اليوم الذين نهتف بحياتهم ونعجب باثارهم لو اشرفت بروحك عليهم من وراء السجف وهم يُدعون لمقصف سياسي ، او ندوة الجامعة ، او ردهة الدير او قاعة المسجد ليملي عليهم ارباجهم فيها ما ينثرون ووحي ما ينظمون طبقاً لأهوائهم وميولهم واهدافهم لألفيت ان التقليد في تبويب المجلة لم يكن شيئاً مذكوراً ازاء العقول والافكار عندما تصبح وسيلة لغايات الآخرين ؟! هنا يا صديقي يظهر لنا التقليد الذي نستعيذ منه ، وعشاق الحرية يستعيذون دائماً من الباطل .

---

(١) من كلمة نشرت في مجلة الامالي العدد ٤ السنة الاولى .

اللهم انقذ لنا فلسطين

كان لي في الآلام التي تذوقها فلسطين اقوال كثيرة نشرتها في كثير من الصحف و كنت اود اثباتها ولكنني رأيت في هاتين القطعتين فحواها فتركتها لاكتفي بهما .

والانسان عاطفة لاتحط من قيمتها الكثرة او القلة وفلسطين في قلوبنا سويداء القلوب .

اللهم انقذ لنا فلسطين من أيدي اليهود، ومن ايدي الانجليز اليهود.

اللهم انقذ الانجليز من اليهود ، وانقذ العالم من الانجليز .

عندئذ يرتفع علم الحرية وتزاح عن عواتق الناس هذه الاثقال من الظلم والعبودية والاستبداد والاستعمار .

ماذا عملنا لاجل فلسطين الشهيدة ؟

اذاع[1] فريق من الشباب العربي في بيروت بياناً على امته يدعوها فيه الى الاضراب عن العيد ومظاهر التبرج في ايامه حداداً على على مظالم الانكليز وتنكيلهم باخوانهم عرب فلسطين الاحرار ، وكان ذلك بديهياً من الشباب ان يذيع على العالم ما اذاعه من مناشير وما نشره في الصحف .

وأنى يكون لهذه الامة المنكودة عيد تحتفل به واخوانهم عرب فلسطين يتسلقون الجبال، ويجوبون السهول، والوعور مستميتين في الدفاع عن بلادهم وجيوش العدو الانجليزي الصهيوني تطاردهم لتجلوهم عن ديارهم بكل ما اوتيت من قوة النار. بعد ان هدمت

(١) نشرت في جريدة اليوم لصاحبها الاستاذ عفيف الطيبي تاريخ ٩-٢ - ٣٨

دورهم وأزهقت ارواحهم وسلبت اموالهم بالغرامات المفروضة !

انى يكون لنا عيد نحتفل فيه فرحين مرحين واخواننا يرزحون تحت اعباء الظلم الاستعماري ويكادون يصبحون حفاة عراة يفترشون الغبراء ويلتحفون الزرقاء بعيدين عن نسائهم واطفالهم يلذعهم البرد القارس بالسنته ويحصدهم العدو برصاصه ؟!

أنى يكون لنا عيد نفرح فيه والعدو يرقص طرباً على قبور اخواننا واجدادهم المبعثرة هنا وهناك ؟

عيد الامة هو تحقيق امانيها وتوحيد صفوفها وجمع كلمتها، وشبابها يبلغ الامل .

اين نحن يا ابناء العروبة من الامم المحررة الاعناق الصافية الاديم التي يخفق في سمائها علم حريتها . ومشعال نورها يضيء الفضاء.

اننا امة شلتها التقاليد واعمتها حتى باتت وكل همها محصور في كيف يجب ان تتمدن بازيائها ، وتصفيف شعرها ، وسلامة خاطرها اما ان تفكر في كيف يجب ان تتحرر ، وتستعيد سالف عزها ، ومجدها وكرامتها ، وابائها ، فهذا ما لا نراه ولا نفكر فيه .

نطالع في كل يوم عشرات المقالات والبرقيات عن فلسطين ومايصنعه الانكليز باخواننا فلانحفل ولانتألم واذا عملنا شيئاً اكتفينا بالتمتمة في شفاهنا ولوينا رؤوسنا اسفاً واستنكاراً كما لو كنا نشاهد شريطاً سينمائياً يعرض لنا حروب الصين واليابان اوثورة الاسبان .

أما ان نندفع لاظهار شعورنا بما نقدر عليه مما يعود نفعه على اخواننا المجاهدين فهذا حرام على عواطفنا الناعمة ان نجرحها بالتفكير والاستعداد لشيء فيه تضحية ونفع .

البس قفازيك

•

صرح[1] الجنرال سبيرس قبل مدة في بريطانيا بان امته غير مستعدة للتفاهم مع الحاج امين الحسيني . وقبل يومين صرح في مصر بانه لن يقابل سماحته مطلقاً ، اي بعبارة اوضح انه يعتبر المفتي الاكبر ممن تعاونوا مع المانيا إبان الحرب .

ان الحاج امين يا ايها الجنرال ، لم يتعاون مع الالمان ولا مع الطليان كما انه لم يتعاون معكم قبل ان تكرهوه على مغادرة فلسطين

ولياذن لي الجنرال ان اسأله عن الديموقراطية وروحها اين هي وعلى من تطبق ؟ أعلى الذين يهددون بريطانيا في عاصمتها ثم ينسفون قصر داود ويخضبون ايديهم بالدماء ؟

ام هي الديموقراطية التي كانت تنسف بلداً عربياً برمته لمصادرة مسدس ؟

ستستقبلك سوريا ولبنان غداً فحذار ان تصافح ايدي ابنائهما او تنظر الى وجوههم . ففي كل وجه صورة الحاج أمين وكل يد هي يد الحاج أمين . ولا شك في انك ستضع نظارتيك وستلبس قفازيك ايضاً .

---

(١) نشرت في جريدة الحياة الغراء عدد ١٩٥ ١٩٤٦ لصاحبها الاستاذ كامل مروه . وكان بودي ان اكتب عن الصديق كامل صفحات في هذا الكتاب لو لم تكن الصداقة المعقودة بيننا تجعل من شهادتي به شهادة بنفسي ، فاحسبني له كالراجع للصوت ، وعسى ان اكون رجعا مستجيبا .

جبل عامل

وطعمة غالية فيصل من الارض في مدى الجنوب اللبناني . هي الطريق الواسعة الى فلسطين ويعيش في هذا الجبل او بالأحرى في هذه الجبال عشرات الألوف من البشر والقرى والمدن يحلمون ولكن دون تحقيق اي حلم لهم . ويحمون مستقبل بلادهم بصدورهم وقلوبهم دون ان يكون هنالك بين اولياء الامر صدر او قلب يعرف قيمة هذا الاخلاص ويقوم بعمل مكافأة لهذا الجهاد .

كان جبل عامل ايام الانتداب شبه مستعمرة لبنانية لابنان البلد الذي لايمكن ان يعيش اذا كان له او فيه مستعمرات . ولكن المسؤلين في ذلك الزمن كان همهم كل همهم ان لايعيش لبنان بل ان يكون نسخة منسوخة في يدي الاستثمار والاستعمار ، لذلك حرم على ابنائه جبل عامل النور والماء وعزلوه عن بقية الجبال اللبنانية ليوهموا سكانها ان هذا الجبل خطر عليهم ، وليتركوا ابناءه خطراً على انفسهم ، واسهل المنافذ التي يتمكن ان يدخل منها اللصوص هي الخوف والتخوف والجهل والتجاهل . ولكل جبل عامل كارض هو ارض لبنانية ، وكسكان هو موطن سكان لبنانيين ، وكمصير هو مصير لبناني . لذلك وجب علينا نحن الشباب الطامح ان نعرّف مجاهل هذا الجبل باخواننا في الجبال الثانية وان نروي لهم قصته التي هي قصتهم فنتعاون نحن واياهم يداً بيد . وقلباً بقلب . على ضم هذه القوى اللبنانية تراباوفكراً في اضمومة عربية واحدة . تعمل عملها في مجموعة الاضمومات العربية فيكون المستقبل العظيم

يقظة وعلماً ومحبة وتضامنا ومساواة .

وهذه الصفحات التي تقرأ هي صور رسمهـــا القلم في ساعات مختلفة وهي ليست صورة الجبل كله ولكنهـا شيء من كل . فلو قرأها القاريء لرأى فيها اوائل الطريق الى الجبـــل الذي انبت الصباح وغير الصبّاح من مصابيح العمل الانساني .

الحياة الادبية(١)

ماذا عساني اتحدث للقراء عن هذه الحياة المترامية الاطراف المضيئة ، هذه الحياة التي تطالعك في كل بلد وفي كل بيت من هذا الجبل فأنت اينما اتجهت وحيثما ارهفت اذنيك سمعت ادباً وانشدت شعراً ، وربما التقيت بنفر من رعاة الماشية تغمرهم الامية فالفيتهم يتساجلون – الزجل ودلعونا – لونين من الوان الغناء البلدي – فلا تتماسك ان تقف الساعة والساعتين لتشبع روحك بالمعاني المبتكرة والتراكيب العجيبة ، واراني لا اتعـدى الحقيقة اذا قلت ان ارض جبل عامل هي اكثر امراعاً بالادب منها بالنبات ، والحيـاة العلمية والاديبه في هذا الجبل ترجع الى مئات السنين وآية ذلك ان مجالس العلماء ودور الزعماء لم تغلق في يوم من الايام امام احد من ابناء القرى الذين يؤمونها في كل صبح ومساء حيث يكون وعظ العالِم وانشاد الشاعر وحديث الاديب، والحديث كما قيل شجون وربما كان سجالا بين فريق وفريق وبين بلد وآخر . وبلدان جبل عامل كثيرة منبثة هنا وهناك تكاد تتجاوز الـ ٤٠٠ بلد ولتقرب

(١) نشر في « الاديب » (ايلول ١٩٤٦)

هذه البقعة من ذهن القارىء البعيد يجمل بي ان احددها بالشكل الذي عرفت به بعد الحرب الماضية وهي (جنوباً الحدود الفلسطينية – شمالا نهر الاولى – غرباً البحر الابيض المتوسط – شرقاً حرمون – وادي التيم وارض الحولا . عدد سكانها مئتا الف ، اشهر حواضرها النبطية – بنت جبيل . عواصمها الساحلية صيدا – صور . مواردها الحبوب على اختلافها والتبغ وما تنبت الارض من شجر وبقول واكثر اشجارها التين ويكثر فيها بصورة خاصة انواع الماشية كالغنم والبقر والماعز ولسكانها ولع خاص بركوب الخيل واقتنائها . ثم ان لهذا الجبل تاريخاً حافلاً بالمرؤات والبطولة والنضال منذ زمن بعيد ولقد لاقى من الاهوال والصعوبات ما لاقى منذ الحروب الصليبية وقبلها وبعدها لاسيما في عهد الجزار حين غزاه بجيش كبير منذ مئة وخمسين عاماً عندما كان امير الجبل الشيخ ناصيف النصار وقد لقيه الجزار على حين غرة في ضاحية جنوبية من ارض الجبل اذ كان الامير وحاشيته في رحلة صيد وقنص وهناك نشب عراك بين الامير والجزار ، انتهى بمقتل الامير وحاشيته ، وبعد ان تم له دخول الجبل عمد الى قتل العلماء والادباء حتى اضطر من لم يدركه القتل ان يفر الى جهات مختلفة تاركا وراءه اهله وعشيرته ، ولم يقف الجزار حيال هؤلاء الفارين مكتوف اليدين بل دخل بيوتهم وخربها ونكل باصحابها بعد ان جمع مكتباتهم وآثارهم العلمية والادبية وبعث بها الى افران عكا حيث غدت وقوداً للنيران خبزه ؟؟ بعد ذلك هل وفق الجزار ومن قبله ومن تلاه ممن تعاقب على حكم هذا الجبل ان يقتلوا الروح العلمية

والادبية فيه ، كلا بل زادوه ايماناً بالفكر وجنوحاً الى المعرفة .

ولقد كان في جبل عامل حتى حقبة من السنين الحالية ثلاثون معهداً علمياً او تزيد يتعهدها اعلام من علماء الدين ينشرون في ربوعه حب الخير والفضيلة ويلقنونهم حب الادب والشعر ، وهكذا تستمر الحياة الادبية في جبل عامل حلقات تعقد هنا وهناك وهي تحفل بالشعراء المبدعين الذين كانوا يتغنون ببطولة ابناء جلدتهم ويصفون معاركهم وغزواتهم وينتقصون خصومهم السياسيين والحربيين بشعر قوي في روحه وديباجته وجزالته ، وشيء آخر تجدر الاشارة اليه وهو زعماء الجبل - قبل خمسة عشرة سنة - فلا يوجد منهم الا من ينظم الشعر او يرقى المنبر ويناقش في كل ناحية من نواحي العلم والادب .

سادت الحياة الادبية في جبل عامل مئات السنين وقد كان محكوماً عليها بالبقاء لولا انها فوجئت بالمدرسة الحديثة ثم وفاة بقية العلماء المدرسين اضف الى هذا تطور الحياة بميولها ونزعاتها واغراضها وهناك ناحية خاصة كانت تسود جبل عامل هي اقطاعية الزعماء في نفوس الشعب وتوجيهه توجيها اقليمياً فيه الكثير من الانكماش على حب البيئة وحب الاستسلام للواقع وحيال هذه الرجعية التي قادت البلاد القهقري استيقظ نفر من رجالنا المعاصرين ووقفوا انفسهم ابان الحرب الماضية على الدفاع عن الشعب ورفع مستواه سياسياً واديباً واستمروا في نضالهم المجيد حتى يومنا هذا نذكر منهم الاساتذة الشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان ، اول صحيفة انبثقت عن جبل عامل فكانت حلقة الاتصال في سلسلة

الجهاد الادبي في سبيل القضية العربية وتقريب الافكار بيننا وبين الاقطار العربيـــة واهابت بابناء جبل عامل كي ينشروا ما يجيش في صدورهم ويخفق في نفوسهم من ادب وعلم وسياسة ثم تحمل لهم من انتاج الادباء المعـاصرين في الشرق والغرب ما يرهف افـكارهم ويبلور اذهانهم ، والشيخ سليمان ضاهر والشيخ احمد رضا من اعضاء المجمع العلمي بدمشق هؤلاء الفرسان الثلاثة هم اساتذة النهضة الاولى اذ كانوا اول الداعين الى تحرير الفكر وانطلاقـــه من دنيا الجمود السياسي الى دنيا الوعي والتفكير ، لقـــد وفقوا في دعوتهم الى اقصى حدود التوفيق وهناك ايضاً سببان بارزان في نهضة الحياتين الادبية والعلمية اولهما مدرسة النجف الاشرف التي تلقن تلامـذتها العلماء شتى انواع العلوم الدينيـــة والادبية حتى اصبح - بحكم الواقع - كل عالم ديني في جبل عامل ربيب هذه المدرسة ،والسبب الثاني في تكوين الناحية الادبية هو الظلم اللاحق بهـــذا الجبل من تعاقب الحكومات عليه العاملة عـــلى قتل الروح السياسية والاجتماعية فيه .

هذان هما السببان - على ما اعتقد - في انماء الشعور الادبي واظهاره في جبل عامل غـــير انه بالرغم من تلك الظروف التي مر ذكرها ، فقد استيقظ منذ عشرين سنة نفر من ابناء هـــذا الجبل وبعث بابنائه الى المعاهد العلمية في بيروت ودمشق واوروبا ، ولئن كان هذا الايفاد قليلاً بالنسبة الى الاقاليم المجاورة فأنه يعتبر عـلى كل حال وعياً علمياً أظهر لنا ثماره الطيبة .

ولا اكتمك الآن بان كل المتعلمين في جبل عامل وغير المتعلمين

ينظمون الشعر ويميلون اليه حتى الاميين انفسهم تبدو فيهم الفطرة الشعرية قوية جلية وهنا يبدو أن طبيعة جبل عامل قد ألبسته ثوباً من الجمال والبساطة ووهبته تلك الصفات البارزة ولا سيما ما يتملك النفوس هناك من تعصبهم للغتهم وشغفهم بها يزيدهم رغبة في الاطلاع على اسرارها ومكنونها ، ثم انه ليروعك حين تعلم ان نسبة عدد الشعراء في جبل عامل يفوق نسبة سواهم في البلدان العربية الاخرى. واما شيوع النكتة عندهم وتذوقهم اياها وخلقهم لها فهذا يستغرق بحثاً خاصاً ، ثم مطالعاتهم الحديثة ولا سيما ما تخرجه المطبعة العربية في مصر وليس يعني انهم قاصرون على مطالعة الكتب بل ويطالعون المجلات الشهرية المعروفة .

***

وقد بدأت في هذا الجبل حركة ميمونة ترمي الى تأليف نواد ومجتمعات ، تهدف الى محاربة الامية وبث الروح الادبية والعلمية وأبناء جبل عامل من أبعد الناس عن التعلق بالاحزاب الشعوبية بل كانوا ولم يزالوا من عشاق العروبة والعربية وكل لغة وأدب عندهم يأتي بعد لغتهم وقوميتهم ، وتجدهم تواقين الى الانتصار لمبدأهم القومي العربي .

***

كم اتمنى ان لا يحرم هذا الجبل من زيارة العلماء والادباء في لبنان وغير لبنان ليتعرفوا اليه عن كثب وعندئذ يعلمون ويشهدون اية كنوز مخبوءة في هذا الصقع من وطنهم العربي .

في «مجاهل» الجمهورية

•

لا ريب في ان الجنوب

[1] يأتي في الطليعة بين مجاهل لبنان ، واذا شئت فقل في طليعة مجاهـــل

(١) نشرت في جريدة « النهار» الغراء لصاحبها الاستاذ وليد النويني ، تاريخ ١٣ و١٥ - ١٢ - ٤٦ وفي جريدة « الحياة الغراء عـدد ٢٣٤ تاريخ ١٥ - ١٢ - ٤٦ .

المعمور . ولكن ترى هل يؤمن القارىء ان في لبنان مجاهل ؟ .. ولبنان كما يعرفونه هو سويسرا الشرق ، وجنة الله على الارض ، وبلد العباقرة والجامعات ، والسحر والشعر والماء والخضراء ...

نقول ان فيه مجاهل ، وهو - أي لبنان - يكاد يقصر عن أصغر رقعة من مجاهل أفريقيا وغيرها ، ولكني أحسب ان ذلك ينبغي أن يكون لكي تتم المعجزة ، أليس لبنان برج بابل ؟ أليس هو دولة من كل دين ؟ أليس أجهل جاهل فيه الحكيم ؟! نعم ان في لبنان مجاهل وفي مقدمتها الجنوب - جبل عامل - هذه المنطقة التي ينيف عدد سكانها على مئتين وخمسين الف انسان منبثين في اربعماية قرية ، ولهذه القرى حواضر أربعة هي صيدا وصور في الساحل ، والنبطية وبنت جبيل في الجبل .

ولقد كان بودي أن أعرض لطوائفه لعلي بذلك اشير الى نقطة هامة في سبب تقهقر هذا الجزء العزيز لولا أننا اصبحنا نحارب الطائفية البغيضة والداعين لها من الرجعيين ! في حين أن كل لبناني هو طائفي قبل كل شيء واذا لم يصدق فليرجع الى هويته وعندئذ يدرك ويعذر ، أو فليرجع البصر الى هؤلاء الذين يحكمون البلاد من أعلى الى أسفل ، أفبغير الطائفية وحقوقها توصلوا الى سدتهم ومراتبهم ، طبيعي لا ! أقول ذلك بكل أسف .

والآن أراني أبسط بين يديك ايها القارىء هذه النماذج المقتضبة من عشرات امثالها املاً أن لا أثير بنفسك الدهشة والاستغراب ، بل أرجو أن تحكم على نفسك كلبناني بنفسك :

١ - هل تصدق ان كثيراً من النساء والرجال والاطفال

يموتون عطشاً في هذه الايام من قلة الماء ؟. فلانه لا يوجد في ٣١٠ قرية قسطلا او ماسورة تحمل اليها نقطة ماء . !

٢ - انه ليس في الجنوب مستشفى مجاني واحد ولا غير مجاني اللهم الا مستشفيات صيدا الاهلية !

٣ – انه لا يوجد مستوصف صحي واحد ولا مكتب صحي !

٤ – لا يوجد بلد واحد ينار بالكهرباء سوى النبطية ، مع ما تعاني هذه البلدة من اقطاعية شركة الكهرباء !

٥ – انه لا يوجد شبر من الارض مفروش بالاسفلت اللهم الا الطريق المؤدي الى فلسطين على ساحل البحر ، وبعض من طريق مرجعيون وطريق جزين !

٦ – وانه لا يوجد في الجنوب سوى ١٦٠ مدرسة ابتدائية حتى يومنا هذا .!

٧ – ليس في الجنوب كله مدرسة عليا واحدة .!

٨ – هل تعلم ان اكثر من مئة قرية تزحف كل يوم اثنين من الاسبوع الى النبطية مشياً على الاقدام تحمل على اكتافها مرضاها كما تحمل سكك الفلاحة الى المعالجة والتصليح وذلك صيفاً شتاء لانه لا يوجد في الجنوب طريق يربط بلداً بآخر . وما تقوله عن النبطية تقوله عن مئة قرية اخرى تزحف من جهة ثانية كل يوم خميس من الاسبوع الى بنت جبيل لتعالج مرضاها او لتبتاع فسطاناً او قبقاباً وا قطعة من حلوى العيد للاطفال ؟ !

٩ – هل تصدق ان زيارة الطبيب لمريض من عيادته الى بلد المريض يتراوح اجرها من ٢٠٠ الى ٥٠٠ ليرة لبنانية ، وان

كثيراً من المرضى تحمل على البهائم في ايام الحر وتحت انهيار المطر الى بعض القرى التي يسكنها واحد من رسل الانسانيـــة ؟ حيث تقضي تلك البهائم الساعات الطوال وهي تصعد الجبال وتهبط الوديان بحمولتها من بني آدم ؟

غفرانك اللهم اين نحن ؟ ومن نحن؟ وماذا جنينا نحن ؟لنستحق العدوان ! وهذا الاهمال !

١٠ - انه لا يوجد مدرسة نموذجية واحدة ؟!

١١ - وهل تصدق ان الملاريا والرمد والتراخوما تفتك بالرجال والنساء والاطفال وليس ثمة بعثة طبية من جانب الحكومة تتفقد الجنوب واهله وتمده بالعلاج ؟ !

١٢ - وهل تصدق ان عشرات عيون الماء والآبار التي يشرب منها ابناء الجنوب هي في وسط المقابر ؟!

وإن عين الماء في قريتي « برعشيت » هي في قلب المقبرة ، وان سكان القرية في استقائهم يدوسون على تراب الموتى ليتمكنوا من الوصول الى ماء الحياة ، في وسط الجماجم واشباح الاقدار . ؟ !

١٣ - هل تصدق انه اذا مات احد ابناء الجنوب في مدينـة بيروت وحمل الى اهله ليدفن في بلدته يضطر ابناء بلدته ان يحملوه على اكتافهم من ٣ الى ٦ ساعات صيفاً شتاء ؟

١٤ - هل تصدق انه اذا مات ميت في قريه يجب ان يقضي ذووه الساعات الطوال بين بلد وآخر لكي يجدوا له كفناً يلفونه به قبل دفنه ؟

١٥ - هل تصدق انه اذا سقط طفل او امرأة في بئر او عـين

او لدغ احد من افعى قضى نحبه قبل ان يصل الى طبيب لفقدان طريق السيارات ؟!.

١٦ – هل تصدق اني اشفقت عليك ايها القـــاري، واني اذا حاولت ان ادخل في التفاصيل احتاج الى عشرات المجلدات .

١٧ - وربما خطر لك أن تتساءل عمن هو المسؤول وماذا يفعل زعماء الجنوب الذين يصعدون على اكتاف هذه الامة .

فأجيبك بان المسؤول بالدرجة الاولى هي الحكومة لان الكيان لا يعرف المناطق اذ انه من واجب الوالد ابي الاولاد ان لا يحرم النائم او المسالم حقه من الطعام بل عليه ان يوقظه وان يحترم شعور المسالمة فيه ، أضف الى ذلك أهمال القادة لهذه المنطقة لانهم مشغولون بانفسهم والمأثور من الكلام « إبدأ بنفسك ثم باخيك ؟ »

ولعلك تريد ان تعرف اين استقرت مقررات مشروع السنوات الخمس الذي هلل له الجنوب وكبر .

– انه لا يزال مشروعاً ؟ ألا يكفي . يجب ان تعـــلم ان في الجنوب علماء وادباء وشعراء . وإن في الجنوب فطرة غريبة عجيبة في استلهامها الشعر والادب .

ولعلك تقول ما بال هؤلاء الذين ذكرت لا يلهبون شعور الامة ويحركونها .

الواقع انه مضى على هذه البقعة ٦٠٠ سنة كانت فيها مسرحاً لجور الاتراك وظلمهم باسم الدين و٢٥ سنه كانت في خلالها مسرحاً لمأساة المستعمر المضلل باسم التمدين وهذه ثلاث سنوات او تزيد باسم المحافظة على الكيان والاستقلال ، وعلى كرامات الرجال

وعلى وعلى .. الى ان تصل هذه البقعة الى يومها الاخير .

وبعد تعال معي ايها القاريء فاني اريك حقيقة التلميـــذ في مدرسته حيث يأكل شفار عينيه الرمد من قلة الماء وانعدام العناية. واريك كيف يجرع الطفل الماء بمقدار البخل لندورة الماء ...

تعال فاني اريك حقيقة العقاقير التي يصفها العجز من الرجال والنساء لمرضاهم والمصابين من ابنائهم بالآلام المزمنة كحرق الزبل للزكام ، وبول الجريح على جرحه ،والرقى والتعاويذ ،وما اشبه ذلك من العلاجات التي تحمل الجراثيم السامة الى الاجساد .

تعال فاني اريك افواج النساء اللاتي يقفن على جوانب عيون الماء والابار وهن يغترفن الماء لصبه في الاجرار ، ثم كيف يغسلن بعد ذلك وجوههن واقدامهن فوق العيون والابار المكشوفة للغبار والاوحال ، وان تجار الماء ينحدرون من هنا وهناك يسوقون البهائم التي تحمل صفائح الماء حيث يستبدلون بعضها في قرى الجنوب بصفائح الكاز المدخرة . وليس عليك الا ان تذهب الى تلك القرى ومعك اربع صفائح من الماء حيث تفرغهـا في الجرار التي يتسابق اصحابها لاستقبالك حتى تتسلم بدلا عنها صفيحة بترول .

ومن مشاهد المأساة انه نمي الي الحكومة في مرجعيون ان في قرية «حولا» حادث اجهاض،وحالما وصلت الهيئة المكلفة بالتحقيق وباشرت البحث والمعاينة ، تبين لها ان الحادث واحـــد من خمسة وعشرين حادث اجهاض وقعت في خلال ايام معـــدودة للنساء والحاملات في القرية المذكورة،اذ قداجهضن وهن يطفن في البراري والقفار يبحثن عن جرة ماء .

وقرية حولا ينوف عدد سكانها عن الفي شخص والحكومة ترسل لهم كل يوم لمكافحة العطش سيارتين تحملان ما حملته الف ليتر من ماء بحيث يصيب كل شخص نصف ليتر ماء للشرب والطبخ والغسيل .. اما البهائم فان لها رباً يحميها ويسقيها ... اذا أراد !..

وما نقوله عن حولا يهون عندما نذكر مثلاً « ميس الجبل » البلد الذي يتجاوز عدد سكانه اربعة الاف انسان ويصيبه من عمليات الانقاذ ما يصيب « حولا » اي (١٠٠٠) ليتر ماء ، يعني لكل شخص ٢٥٠ غرام ماء .

واليك مثلاً آخر نسوقه للدلالة فقط ، وذلك انه ذهب بالامس السيد حسن ذيب من قرية (شقرا) الى مرجعيون مع بهيمته وبعد مضي ١٢ ساعة تسلق خلالها الاعالي وهبط الاودية عاد الى بلده مصحوباً بصفيحتين من الماء دفع بهما الى عائلته والى بعض من ذويه فكان بذلك مثال الشجاعة والاريحية .

وقد يدهشك حقاً ان تعلم ان عشرات القرى قد مضى على سكانها بضع اسابيع وهم يقيمون صلاتهم بدون وضوء بالماء !. مكتفين بالتيمم بالتراب . وهذا مشهد مقتضب احببت تسجيله

ويهمني ان تعلم ان مئة بالمئة من سكان الجنوب تفتك في امعائهم ميكروبات « الدوسنطاريا » والملاريا .

وان الدركي الذي يذهب الى قرية ما بهمة يسود ويتبختر على ابناء القرية والويل كل الويل لمن لا ينتصب كالتمثال اذا مرّ الدركي بساحة القرية واذا لم يسارعوا الى قبض زمام حصان « ابن الحكومة ».

يذهب الدركي بعدئذ الى بيت وجيه البلدة او مختارها حيث يستلقي على فراش نظيف ثم يبدأ باستقبال زواره الذين يتوافدون لتحيته خوفاً من بطشه اقول بطشه واعني المحاضر التي ينظمها حالا بحق الفلاحين اذا لمح امام بيت احدهم سواد بقر او ماعز او دجاج فهذا في نظره مخالفة لقواعد النظافة العامة .

* * *

هل تعلم ان العمال الذين يهبطون بيروت يحملون امتعتهم الساعات الطوال تحت جنح الليل حتى يصلوا الى بلد ترابط فيه سيارة تحملهم الى بيروت بالعشرات وهي المعدة لأربع ركاب ؟

* * *

وان عشرات الدعاوى التي ترفع كل صباح الى المحاكم يكون سببها الخلاف على جرة الماء ؟! وان البيت الذي يغلق بابه في المساء على الزوجين واولادهما الى جانبهما الجمل والبقرة والدواجن من طيور وحتى الكلب والهرة ...

* * *

فكيف تتصور ايها القاريء بل كيف تتصورين ايتها الحكومة حالة الام وقد ازفت ساعة الولادة في بيت من هذا النوع ؟ بل كيف يكون شأن العائلة وقد نزل عليها ضيف عزيز او قريب كان بعيداً ؟ ...

وهل تعلم ان اللحوم والحلويات تعرض في اسواق الحواضر مكشوفة للماء والغبار وهي عرضة للمس الايدي والانفاس ؟

وان مئات الاطفال يذهبون في هذه الايام تحت وابل المطر

وفي الصيف تحت قرص الشمس المحرقة في القرى المجاورة . فكيف اذن تكون حياة هؤلاء الطلاب واجسادهم المعرضة للخطرين بل كيف تكون في الغد اجساد اللبنانيين ؟ اليس ابناء جبل عامل من لبنان ؟؟ ..

وان الذي يذهب الى المحكمة وله عنزة يرجع بعد جلسات وجلسات وقد خسر الثور والجمل وطارت العنزة ؟! .. وان عدد التلفون في الـ ٤٠٠ قرية في الجنوب لا يتجاوز عداد اصابع الكف الواحد . فماذا تكون حالة اولئك الذين يضطرون الى اعلام احد من ذويهم لحادث ما او استدعاء طبيب لمعالجة انسان او عائلة انهار عليها البيت او اطبق عليها بناء وهذا كثيراً ما يحصل في ايام الشتاء بالنسبة لمتانة البناء ؟؟.

وان كثيراً من الاباء يرسلون ابناءهم في هذه الايام الى بعض انسبائهم لكي يأووهم بضعة ايام في بيوتهم ويسقوهم الماء القراح كما كانوا في السنوات الماضية يرسلون ماشيتهم ورعاتها للاماكن التي يكثر فيها المرعى .

وان شعب البريد اشبه ما تكون بشعب الهاتف ، وان معظم الرسائل تنام اشهراً عند تجار صيدا او صور او بنت جبيل وربما يتيسر من يحملها حملاً الى اصحابها ...

وان جبل عامل لم ينعم حتى الآن بزيارة حكومة من حكوماته المتعاقبة الى قراه وشعابه اللهم الا اذا كانت هنالك دعوة الى بلد فتكون الزيارة عابرة لاتمكن الزوار من مشاهدة الفصول المثيرة المعروضة على شاشة هذا الجبل منذ مئات السنين .

اللهم عفوك لقد قيل اننا في لبنان منارة الشرق وفي القرن العشرين !

اللهم عفوك لم تكفنا فقط هذه المصائب . ولكن زادنا المآ ان بعض الاقلام التي تكتب عنا تصورنا تصويراً عجيباً فتتخيل ان الحالة التي نعيش فيها هي الحالة التي يمكن ان نعيش فيها . ويعني ذلك اننا نحن الذين نكره ان ندفع بانفسنا الى الامام في طريق التقدم الاجتماعي ولكن الواقع هو اننا نرغب في التقدم رغبة لاتجاريها رغبة ولكن انى لنا ان تشعر الحكومة اللبنانية بحقيقة وجود الوطن اللبناني فتمد لنا يدها وترفع عنا يد المسيطرين علينا فتنقذنا من المستنقعات لكي لانكون خطراً عليها ولكي لاتكون هي بدورها اثيمة علينا .

اللهم عفوك لقد قيل اننا في لبنان منارة الشرق وفي القرن العشرين ايضاً .

ان الجنوب اعطى لبنان كثيراً ولم يأخذ منه شيئاً فكان كالبقرة الحلوب بالنسبة الى دوره في الكيان اللبناني .

منذ ثلاث سنوات وعدوا وقرروا ثم اقروا مشروع السنوات الخمس ، المشروع الذي يدخل في حسابه جر المياه الى جبل عامل ولكن ماذا كان ؟ انهم ركزوا « الحوازيق » في رؤوس الجبال تحمل الارقام المتسلسلة اشارة الى جلب المياه . ثم اكتفوا بما نصبوا كأنهم يعلمون او يحلمون بان طبيعة الاجواء والحياة سوف لاتكذبهم . بل تسير وفقاً لرغائبهم ؟ ؟

ما آلم النفس وهي تردد مع القروي :

«صبرنا على عيش من الذل انكد وانكده ان لانرى العيش انكدا»

الجنوب والحزبية

انا لا انكر ان في الجنوب حزبية عمياء جرت في صفوف العاملين هدامة فتاكة ولهذه الحزبية رجال وجنود ومبشرون وانها اخطر موجة تقعد جبل عامل عن الاندفاع في طريق التقدم لأنها لم تعد حزبية بالمعنى الذي نفهمه بل انتقلت الى تناحر وسفك في سبيلها بعض الدم . وهذا كله لايعنى في هذا الكتاب ان اتكلم على القادة في الجنوب بما عرفت من اعمالهم الحسنة والسيئة؟! لأن غايتي في هذه الكتابة هي ان ابث بين صفوف ابناء الجبل روحاً قوية مفيدة بعيدة عن الحزبية تأخذ بيدهم نحو النور . ولأنني لا اريد ان احصر السيئة في شخص دون آخر بل اريد ان اقول ان سكان جبل عامل كلهم مسؤولون وان هذه المسؤلية تنحصر في القادة وان مسؤولية هؤلاء القادة تنحصر في الحكومة فلومنا كل لومنا على الحكومات المتعاقبة التي جعلت منا ما جعلت . وان واحداً مثلي عرف شقاوة الحياة على انواعها وعرف غصة الحرمان ولمس بقلبه الشقاء الذي يسود في منطقته وفي كل منزل من منازلها ورأى بأم عينه كيف يشق هذا الجبل بزعمائه وكيف يجبهم عرق جبينه وحبات قلبه لا يقدر ان يتكلم عن واحد من القادة دون ان يرى سيئاته بارزة واضحة فيذكره بأنه قصر في القيام بواجبه نحو من اعطاه كل ثقته ولم يبخل عليه بشيء .

قلت لا احب ان اضع المسؤولية على غير الحكومة والحكومة هنا كلمة معنوية يدخل ضمنها القادة انفسهم . فانا ما كتبت لأبرىء ولا لأتهم ولكنني كتبت وقدست الحرف اعتقاداً مني ان العلم

هو وحده طريق الحرية فمتى يغمر جبل عامل بحر العلم فتستيقظ قراه ودساكره ومدنه من سباتها العميق .

ليكن هذا الكتاب وأني لأفتخر بهذا الكتاب اول ثمرة بارزة من ثمار يقظة الفقراء في جبل عامل .

وامنيتي وانا في الصفحات الاخيرة من هذا الكتاب ان أعود بائع صحف احمل الى الناس اراء الناس وافكارهم اي ان اكون مدرسة سيارة تغري الناس ليقرأوا الناس فابيع الفكر والقلم والقنبلة الذرية وسقوط وزارة وقيام وزارة بخمسة عشر قرشاً ما أرخص ثمار الاقلام ببيعها واحدنا على رصيف المدينة في زحمة الناس المحتشدة.

انا اليوم موظف صغير في الدولة تطالني بلا أذى اذا احبت كل صحيفة ما اضعفني اليوم وما اقواني امس . ساعة كان كل صحفي يتمنى ان ارضى .

كنت لا احسن القراءة فخافني القارؤن .

كنت لا أحسن الكتابة فخافني الكاتبون . حتى اذا نفدت أعداد صحفهم من بين يدي أصبحت في نظرهم بائع صحف عضوا مشلولا في المجتمع .

ما رأيت اناساً كحملة الاقلام في هذا البلد يتاجرون بثمار نفوسهم.

أتمنى أن أعود بائع صحف لأني أخاف أن أتعلم المساومة بنفسي.

كم صحيفة بعتها وكنت وكأني أبيع معها شرف صاحبها في الاسواق الرخيصة .

محمد فرج علي

عنوان المؤلف : بيروت – لبنان – جريدة « الحياة »

DATE DUE

JAFET LIB.
14 JUN 2016
Circulation Dept. 4

081:K18mA:c.1
قره علي، محمد
من وحي الفطرة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01000960

AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT